



سلسلة  
مدينة الحب  
لا يسكنها العقلاء

# أنت كل أشيائني الجميلة

أحمد آل حمدان

••• i\_ahmedalhmdan

الطبعة العاشرة  
١٤٤١ - ٢٠٢١ م

كل تلك اللوحات التي في غرفتي، والتي تراقبني بفضول بينما  
أقرأ وأكتب، كل تلك الدمى التي حين أغادر الغرفة أسمعها من  
وراء الباب تحادث نفسها بصوت منخفض حتى لا أكشف سرها،  
كل أولئك القراء الذين كانوا دوماً إلى جانبي، والذين كلما قررت  
التوقف عن الكتابة، صرخوا بوجهي:

«لا توقف، حتى بعد أن تموت سنمر لك قلماً وورقة، لتواصل  
الكتابة وأنت في قبرك»

حتى الجنية التي عثرت عليها عندما كنت صغيراً وقالت لا تخف  
خذني معك وسأعلمك أشياء كثيرة، وجدتني التي كلما ذهبت إلى  
قبرها وجدتها تنتظرني عنده وتقول:

- كنت أعرف بأنك ستأتي

وأنا أيضاً ..

جميعنا كنا نظن أن الحكاية انتهت عند ذلك الحد، وأنه لن يكون  
هناك جزء آخر من رواية مدينة الحب لا يسكنها العقلاء، لكن بينما  
كنت في معرض جدة الدولي للكتاب، إذ جاءت طفلة صغيرة،  
تحمل في يدها أوراق ..

هذه الرواية من تأليف:

أحمد آل حمدان

والفتاة التي ينتهي اسمها بتاء مربوطة.

قبل أن يأخذوها منه، تركت له على الأرض ورقة

حين التقطها قرأ:

في الغياب

أسألك بمن سخر كل هذا الجمال فيك،

أن تقاوم من أجلني كل محتل يريد امتلاكم،

سأعود يوماً أجر خلفي جيوش الشوق إليك،

لأعاقب كل من فكر يوماً في احتلالك.

وَحِينْ عَادَتْ إِلَيْهِ بَعْدَ أَلْفِ عَامٍ، هَمَسَتْ لَهُ مُبَتَّسِمَةً:

- مَنْ عَلَمَكَ الْكِتَابَ؟!

طَوْقَهَا بَيْنَ ذَرَاعَيْهِ وَقَالَ:

- غَيَابُكَ هُوَ السَّبَبُ

# الباب الأول

## «الكاتب»

لا تكن عاقلاً في حضرتها  
فالمرأة لا تحب العقلاء

«لم أعد أحبك، لم أعد أشتاق إليك،  
 لا أريدك، لا أحن لك، لا أفكر فيك،  
 وغداً أتذكري عن طريق الخطأ  
 فأضحك كثيراً بدلاً من البكاء عليك،  
 أتعلم !؟

أنا أكرهك بشدة لأنك الوحيد الذي يعلم  
 بأنني أكذب في كل ما كتبته إليك ..»

كانت هذه الكلمات مكتوبة على الصفحة الأولى من حزمة  
 الأوراق التي قدمتها لي طفلة صغيرة أعتقد أنها لم تتجاوز السادسة  
 من عمرها، بعد أن نجحت في التسلل كما فار، من بين سيقان القراء  
 المحتشدين حولي، لتوقيع رواية مدينة الحب لا يسكنها العقلاء، في

معرض جدة الدولي للكتاب، لعام ١٤٣٩ هـ

انحنىت مبتسمًا:

- ما هذا يا صغيرتي؟

- أوراق

- أعرف - قلت ذلك وأنا أنظر مباشرة إليها - أقصد من أعطاها  
للك؟

أشارت الطفلة بإصبعها نحو مكان ما ونظرت، وعندما لم تجد  
الشخص الذي ناولها الأوراق، ارتسם على وجهها شيء يشبه  
الخوف:

- لقد ذهبت!

قالتها لي بعينين بريئتين تشبهان عيني أرب مذعور، يحدق  
بحوف إلى كائن بشري من داخل القفص.

كانت الطفلة شديدة البياض كما لو أنها جاءت من بلاد لا تشرف  
فيها الشمس، لها عينان دقيقتان تشيّان بذكاء، وتملك وجهًا حادًا  
يشبه وجه تمثال يوناني يقف في متحف للآثار، وكان لها شعر أسود

مصحف بعناية باللغة يُخيلي من يراه أن رساماً قام برسمه لها مستخدماً  
فحماً ومسطراً وفرشة.

ن أعلم - من هي التي ذهبت يا صغيرتي؟!

قالت وهي شاردة الذهن:

الم نه - الفتاة.

\*\*\*\*

كان هناك إحساس يشبه الشك، أخبرني بأنني أعرف الشخص  
الذي كتب هذه الكلمات، فقد كان الخط مألوفاً في ذاكرتي، كما لو  
أني قد شاهدته في مكان ما.

ما اسمك يا صغيرة؟!

لأنثى شابت يديها خلف ظهرها، نظرت نحو الأرض ولم تجب!

لأنثى بها حادث

هر أمد

لأعلم لماذا شعرت في تلك اللحظة بالذات، أن الطفلة الصغيرة  
هذه تعرف شيئاً ما، بيد أنها لا تريد الإفصاح عنه، لذلك حاولت  
التقرب منها أكثر لتخبرني عما تخفيه.

\*\*\*\*

ولأنني لا أجيد التعامل مع الأطفال، ولم أكن أملك خطة  
متوفرة في ذلك الوقت، فقد فكرت في أن أخبرها عن اسمي أولاً،  
ثم أستدرجها في الكلام شيئاً فشيئاً حتى آخذ منها ما أريده من  
معلومات:

- أنا اسمي أحمد

- وأعلم ثم قالت: «وأعلم عنك أشياء أخرى»

- حقاً؟!

هزت رأسها بمكر وهي بتبتسم مثل شيطانة صغيرة!

- مثل ماذ؟!

فتحت فمها لتجيب، لكنها أغلقته بسرعة كأنها تذكرت شيئاً ما،  
الأمر الذي جعلني أتأكد أكثر من أنها كانت تخفي عنّي أمراً.

\*\*\*\*

ظاهرت أمامها بالبرود حتى لا أشعرها بالخوف، ورحت أحاول  
الاقتراب منها:  
- حسناً لم تخبريني عن اسمك؟!  
شابكت يديها مرة أخرى خلف ظهرها، ونظرت نحو الأرض  
دون إجابة.

لم أستسلم ورحت أجرب معها سؤالاً أقل صعوبة، بحيث يكون  
في مقدورها الإجابة عنه بنعم أو لا، أو تستطيع في أسوأ الأحوال أن  
تجيب عنه بحركة من رأسها دون أن تتكلم:

- هل تذهبين إلى المدرسة؟!

- حسناً في أي صف؟!

- إنك ترتدين لباساً جميلاً، هل والدتك من قامت باختياره لك؟!

ولأنها لم تعطِني إجابة واحدة، فقد شعرت بأنني أريد أن أصرخ في وجهها مستخدماً طريقة رجال المخابرات، عندما يقومون باستجواب شخص متهم يرفض التجاوب معهم، ولكنني لم أفعل ذلك مع الطفلة الصغيرة، ليس لأنني شخص لطيف، بل لأن الناس كانوا ينظرون نحوِي.

\*\*\*\*

جرت العادة أن توفر دار النشر للمؤلفين بعض أطباق الحلوي والتمر ودلال القهوة، لكي يحتسواها بينما يتنهون من التوقيع على كتبهم، لذلك أقيمت نظرة سريعة حولي، أبحث عن رشوة أدسها في يد الطفلة الصغيرة كحلوى بالشوكلولا مثلاً، فربما ينجح ذلك في دفعها للحديث معي.

- خذى حلوى الشوكولا اللذيذة هذه.

عندما أصبحت الحلوي في يدها، قامت بدسها في جيب بنطالها  
بسرعة، كأنها تخاف من طفل يرى تلك الحلوي، فيخطفها من يدها  
ويهرب بها بعيداً.

- أخبريني الآن من أعطاك هذه الأوراق

وضعت إصبعها داخل فمها، ترددت قليلاً قبل أن تجيب، كما  
لو أنها فكرت في أنني سأخذ منها قطعة الشوكولا لو أنها لم تخبرني  
بالحقيقة:

- إنها فتاة

- أعلم، لكن أخبريني أين هي؟!

أخرجت الطفلة الصغيرة من فمها إصبعاً مغطساً باللعاب،  
وأشارت به إلى الأمام:

- كانت هناك، لكنها ذهبت!

\*\*\*\*

أعرف أن الأطفال يخافونني في كثير من الأوقات، وربما يعود ذلك إلى منظر لحيتي الكثيفة والتي لم يزرتها مقص الحلاق منذ زمن بعيد، أو أن خوفهم يعود إلى منظر شاربي الكثيف والذي تبرز منه أحياناً وعلى غير انتباه مني، بعض جبات الشعر المتوجهة نحو الأعلى، فتبدو من قريب كما لو أنها قرون استشعار لحشرات تخفي أسفل شاربي، لذلك صنعت ابتسامة مزيفة في محاولة لتلطيف ملامح وجهي وقلت:

- حسناً هل تعرفين من أي طريق ذهبت؟!

- لا، لقد ذهبت!

ثم قامت بحشر يدها في الجيب الخلفي لبنطالها، وأخرجت لي منه ورقة نقدية من فئة العشرة ريالات:

- خذها - مذّت الورقة النقدية باتجاهي - خذها إنها لك

لم أفهم في ذلك الوقت لماذا حاولت الطفلة الصغيرة إعطائي المال، ولم أفك في الأمر كثيراً:

- لا يا صغيرتي احتفظي بها لنفسك.

## كيف أصبح كاتباً

حسناً، لقد تضاعف الشك في داخلي ..

يحدث أحياناً أن يأتي بعض القراء المتحمسين، إلى معرض الكتاب، وهم يحملون في أياديهم شيئاً من كتاباتهم، يطلبون مني أو من مؤلفين آخرين قراءتها، وإعطاءهم رأياً أدبياً فيها، إنهم يعتقدون أنني كاتب محترف في مقدوره توجيه النقد لهم، أو إعطاؤهم بعض النصائح المفيدة التي قد تساعدهم في تحسين قدراتهم الكتابية.

لكن في الحقيقة ولسوء الحظ أنا لست كاتباً، ولا أفهم كثيراً في تقنيات الكتابة، ولا أميز الفرق بين الرواية والقصة، وأشعر بالحرج كثيراً عندما أجلس بين مؤلفي دار النشر وهم يتناقشون فيما بينهم حول الأدباء والأدب، الأمر الذي يجعلني أحرك رأسك طوال الوقت متظاهراً بالفهم، مثل تلميذ بليد يهز رأسه في حصة الرياضيات دون أن يفهم شيئاً من شرح الأستاذ!

في الواقع: أنا لست إلا بقايا رجل، يرسم بالكلمات على جيطان  
الذاكرة، ريشما تعود إليه فتاة رحلت وأظنها لن تعود!

\*\*\*\*

ييد أنهم لا يصدقون كلامي، يعتقدون أنني لا أقول ذلك إلا من  
باب التواضع، فأضطر مستسلماً في النهاية إلى توجيهه بعض النصائح  
لهم، والتي رغم اقتناعي بأنها صحيحة، إلا أنني في ذات الوقت أعلم  
بأنها كانت ستضرهم كثيراً لو أنهم استمعوا إليها!

أذكر أن أحد القراء سألني ذات مرة:

- كيف أصبح كاتباً؟

قلت بأن الطريقة الوحيدة التي قد تجعل منك كاتباً هي:

«أن تقع في الحب أولاً، ثم تنتظر حتى يأخذ القدر منك ذلك  
الحب قهراً، حينها فقط يصبح في مقدورك أن تكون كاتباً.»

- إننا نكتب لنسعى في الخيال شيئاً يستحيل علينا مواصلة الحياة  
بدونه.

حيطان

الحديث:

- الجرح هو وقود الكاتب، لذلك يجب على الفتاة أن تحذر من حبيب كاتب، لأنه قد يهجرها يوماً وهو يحبها جداً، فقط ليستعين بجرحه على تأليف كتاب جديد!

قلت له: يجب على الكاتب أيضاً أن يحذر القصص التي يكتبها على أوراقه، لأنها قد تصبح حقيقة مع الأيام، فالقدر أحياناً يتبع لأولئك الذين يحبون اختراع القصص، فرصة المشاركة في كتابة أقدارهم ..

قلت له أيضاً: بأن الشخص الذي ماتت جدته قبل أن تحكي له قصصها القديمة، لا يمكن له أن يكون كاتباً، فقصص الجدات وحدها من في مقدورها أن تخلق منها كتاباً ..

و كنت أريد أن أقول له أشياء أخرى، لكنني صمت، ليس لشيء عدا أن ذلك الشخص حمل نفسه وابتعد عنِي ..

\*\*\*\*

### نعد إلى موضوع الطفلة:

الغريب هذه المرة، هو أن تلك الفتاة الكاتبة لم تقدم لي حزمة الأوراق بيدها مثلما جرت العادة، بل قامت بإرسالها مع طفلة صغيرة، وأعتقد أنها أمرت تلك الطفلة بعدم الإجابة عن أي سؤال قد أطرحه عليها، فقد كان الارتباك يظهر واضحاً، على ملامح الصغيرة كلما سألتها عن شيء ما.

وهناك شيء آخر كنت أشعر به في تلك اللحظة وأنا أقف أمام الطفلة وهو:

أن تلك الفتاة الكاتبة، كانت تراقبني من مكان ما، إنني أشعر بأنفاسها، وينظراتها وهي تتسلق وجهي، وأكاد أجزم بأن في مقدوري سماع نبضات قلبها المتضاعفة.

لم تكن كلماتها طويلة على الصفحة الأولى، لكنها كانت عميقية للحد الذي يجعلني متيناً من أن تلك الكلمات لم تكتب إلا من أجلي، ومن أجلي فقط.

مس المحقق الصغير الذي بدأ  
ـ هناك شيء غريب، يجب التحـ  
ـ إن في الأمر خدعة ..  
ـ ما يقوله المحقق صحيحـ  
ـ الصفحة دعنا نقرأ ما هو مـ

قلبت على الصفحة الثانية  
ـ (يمضي علينا الوقت في غـ  
ـ نعلم أنهم فارقونا بنجاحـ  
ـ وتجاوزونا إلى شخصـ  
ـ يقولون له كلاماًـ  
ـ قالوه لنا يوماً،ـ

لدم لم يجد  
لها معه  
في مسؤولي  
ح الصعب  
قف ألم  
أشعر  
وربي  
يقيمة  
من

همس المحقق الصغير الذي بداخلي:

- هناك شيء غريب، يجب التتحقق من هوية هذه الفتاة الكاتبة،  
إن في الأمر خدعة ..
- ما يقوله المحقق صحيح - قالت العجوز التي تسكتني - اقلب  
الصفحة دعنا نقرأ ما هو مكتوب.

\*\*\*\*

قلبت على الصفحة الثانية وقرأت:

«يمضي علينا الوقت في غيابهم ثقيلًا،

نعلم أنهم فارقونا بنجاح،

وتجاوزونا إلى شخص آخر!

يقولون له كلامًا

قالوه لنا يومًا،

يقسمون له على البقاء

مثلما أقسموا لنا ذات مرة،

ورغم أننا نعلم جيداً بأننا

لم نعد نمضي في خيالهم ولو للحظة،

إلا أننا نرفض تصديق ذلك وبشدة

حتى لا تبكي قلوبنا عليهم بحرقة طفلة ..

طفلة تبكي في زاوية الغرفة لأنهم

أخبروها بوفاة والدها

حين عادت ظهراً من المدرسة!

في غيابك تعلمت أن كل شيء

يمكن اقترافه يا سيدى، إلا نسيانك!

أنت الشيء الوحيد الذى سيبقى في الذاكرة،

وأنت الشيء الوحيد الذى لن أكف عن حبه حتى

ولو كان بعيداً،

بعيداً جداً ..

صرخت العجوز وهتف المحقق في

- إنها تتحدىك!

تكلم الكاتب الذي يسكننى،<sup>٩</sup>  
بنظارته المثبتة على أربعة أنفه:

- صحيح، إنها تجيد تقليدك،

قلمك!

- لا تتحركي.

صرخت في وجه الطفلة الصغيرة  
جانباً ثم ركضت أفتشر عن الفتاة

صرخت العجوز وهتف المحقق في الوقت ذاته:

- إنها تتحدىك!

تكلم الكاتب الذي يسكنني، وهو يدقق النظر في الكلمات  
بنظارته المثبتة على أربعة أنفه:

- صحيح، إنها تجيد تقليلك، تكتب مثلك كما لو أنها سرقت  
قلمك!

\*\*\*\*

- لا تتحركي.

صرخت في وجه الطفلة الصغيرة، بعد أن وضعت حزمة الأوراق  
جانبًا ثم ركضت أفتش عن الفتاة الكاتبة ..

### «مدير الدار»

بدلاً من رائحة الكتب، كانت هناك رائحة عطر مألوفة تنتشر في  
أروقة المعرض، مثل فضيحة جميلة تتناقلها الجدات!

تبأ نستهلك عمرًا حتى نعتاد غياب أحدهم، ثم تأتي رائحة عطر  
تعيدنا من جديد إلى نقطة البداية، ذلك أن العطر آلة تسافر بنا عبر  
الزمن، تعيدنا نحو ماضٍ جميل، نستغرق بعده عمرًا آخر، لنقنع  
أنفسنا بأن ذلك الماضي ذهب، ولن يعود مرة أخرى.

عقلني يلکزني مع كل خطوة أتقدم بها نحو الأمام:

- عد إلى مكانك لا تكن أحمق!

لكن قلبي يأمرني بالمواصلة:

- لا تصح إلى هذا المعقد - ثم يصرخ مهتاجًا مثل رجل يمتظي  
ثور - واصل البحث لا تتوقف.

- تصف من بالمعقد

- تصف من بالمعقد - يردد قلبي هازئاً -
- كف عن تردید ما أقول
- كف عن تردید ما أقول - يردد قلبي هازئاً -
- توقفاً عن ذلك فوراً - أصرخ عليهما غاضبًا - هذا ليس وقنا  
للشجار.

ولأننا غالباً ننصرت إلى ما يقوله لنا القلب، ثم نندم لاحقاً على عدم الاستماع لنصائح العقل، واصلت البحث عن الفتاة الكاتبة.

في الحقيقة ليس جميلاً، أن يكون الإنسان عاقلاً، فالشخص العاقل يفوت على نفسه كثيراً من المغامرات، كما أنه ليس جميلاً، أن يهروء الإنسان خلف قلبه، حتى لا يقع في كثير من الورطات، الرائع بحق هو: أن نغير ترتيب الأشياء قليلاً، أن نضع عقولنا خلف قلوبنا، أن نعيش الجنون لكن بعقل، هكذا تستمر الحياة.

بعد أن مهد  
أدركت أني لن أغير على الذكاء  
كمحارب عاد إلى قريته، بعد أن فوجئ  
العائللة والأصدقاء!  
حين عدت لم أجد الطفلة فاطمة  
لاتتحرك منه، كان كل شيء يسراً  
حول دلال القهوة، الزوار يتذمرون  
المبيعات يكذبون ببراعة مدرورة  
الدار ينطوي على نفسه في أحلك  
يخصي في يده المال.  
فتشت بعيدني في المكان  
الطفلة الصغيرة: أزاحت بعض  
الأدراج أسفل صندوق المحظوظ  
يكون أحدهم قد خبأها في مخفي  
 شيئاً، وأنهم لم يلمحوا طفلة  
انتهت، بعد استيقاظ صاحبه من

## «بعد أن مضت ٤٥ دقيقة»

أدركت أني لن أُعثر على الفتاة الكاتبة، فعدت أدراجي خائباً  
كمحارب عاد إلى قريته، بعد أن قتل له العدو في الحرب جميع أفراد  
العائلة والأصدقاء!

حين عدت لم أجد الطفلة في المكان الذي كنت قد أمرتها بأن  
لا تتحرك منه، كان كل شيء يسير بشكل طبيعي: المؤلفون يشرثون  
حول دلال القهوة، الزوار يتصفرون أوراق الروايات، موظفو  
المبيعات يكذبون ببراعة مدرسية على القراء لتسويق الكتب، ومدير  
الدار ينطوي على نفسه في أحد الأركان يلعق إيهامه مثل هر، بينما  
يحصي في يده المال.

فتشت بعيني في المكان عن حزمة الأوراق التي أعطتني إياها  
الطفلة الصغيرة: أزحت بعض الكتب لأنظر تحتها، فتحت جميع  
الأدراج أسفل صندوق المحاسبة، سألت موظفي المبيعات فربما  
يكون أحدهم قد خبأها في مكان ما، لكنهم أكدوا لي أنهم لم يروا  
 شيئاً، وأنهم لم يلمحوا طفلة، فبدا الأمر للحظات كما لو أنه حلم  
انتهى بعد استيقاظ صاحبه من النوم.

\*\*\*\*

تعلمنا من الحياة أن لا أحد يملك وقتاً للاستماع إلى مسرحياتنا الخاصة، وتعلمنا أيضاً أن نكتم ما في قلوبنا من أوجاع حتى لو أبدى أحدهم رغبة في الاستماع إليها، لذلك كلما سأله أحدهم عنا ابتس له وقلنا كذباً: نحن على خير ما يرام.

إلا أن هناك أشياء تحدث معنا، لا نستطيع إخفاءها لمدة طويلة، تلك الأحداث تشبه القنابل الموقوقة، يجب علينا إبطال مفعولها بالشرارة وإلا انفجرت في قلوبنا، وحولتنا إلى أشلاء صغيرة! لهذا كنت في حاجة إلى صديق رائع في ذلك الوقت، أستطيع إخباره بكل شيء، وأعلم جيداً أنه بعد انتهاءي من الحديث معه سيقوم بنسيان كل ما أخبرته به.

فالصديق رائع هو: من ينسى كل أسرارك بعد أن تخبره بها، هو أول شخص تأتي صورته في ذهنك حين تشعر بأنك وقعت في ورطة هو من يجيد فهمك دون الحاجة إلى الكثير من الشرح، هو من تغيب عنه وحين تعود لا يعاتبك على اختفائك لأنك يفهم حاجتك للوحدة والعزلة، هو من لا يتجرأ أحدهم على الحديث عنك بسوء أمامه هو من في مقدورك أن تعاتبه لذنب اقترفه شخص آخر غيره دون أن يتحسس من غضبك عليه، لأنه ببساطة هكذا يكون الصديق رائع.

\*\*\*\*

٣٦

ولأنني لم أكن أملك صديقاً رائعاً في ذلك الوقت، دفعت بجسدي  
نحو بوابة الخروج، لاستنشق بعض الهواء في ساحة المعرض  
الخارجية، وما كدت أبتعد ب几步 خطوات عن موقع الدار، حتى  
 جاءني ذلك الصوت الكثيف:

- أين اختفيت لقد سألك عنك بعض القراء.  
كان مدير الدار يسألني وعلى وجهه ابتسامة يداري بها غضباً.  
كنت أعلم سبب غضبه جيداً: هو لا يهتم بسؤال القراء، بل بتلك  
النقود الورقية التي ستتحول من جيوبهم، إلى خزينة الدار مقابل  
شرائهم مزيداً من نسخ الرواية الموقعة.

هذا ليس من شأنك: هذا ما كنت أستعد لقوله، لو لا أنني تذكرت  
في اللحظة الأخيرة فارق السن الذي بيننا فالترمت الصمت احتراماً.

حسناً أنا أكذب:  
في الحقيقة لم يكن فارق السن هو ما دفعني إلى احترامه وعدم  
قول ذلك في وجهه، بل تذكرت في اللحظة الأخيرة، عقد الاتفاق  
الذي بيننا، والذي يتبع له التحكم في مصير مؤلفاتي وكتبي لمدة  
عشر سنوات قادمة.

«يكون الطرف الأول - الناشر - هو المسؤول عن جميع أعمال الكاتب، ولا يحق للكاتب نشر أعماله الأدبية لدى أي دار نشر أخرى حتى تنتهي مدة صلاحية هذا العقد».

كانت هذه إحدى الفقرات المبرمة في عقد الاتفاق، والذي لا أعلم أي شياطين أقنعني في ذلك الوقت بالتوقيع عليه، لهذا لن يكون من مصلحتي أبداً إفساد علاقتي بمدير الدار.

اعتذرت منه لغيبابي المفاجئ باحترام مبالغه، ثم أخبرته بلفظ أنني سأنسحب قليلاً إلى الخارج، لأنني في حاجة لاستنشاق بعض الهواء، ووعدته بالعودة في أسرع وقت لإكمال التوقيع على بقية نسخ الرواية.

هز رأسه موافقاً وهو غير مقتنع بانسحابي، كما لو أنه رجل مرور يتسم لسانق متھور، بينما ينوي أن يحرر له مخالفته. مضفت ريقاً من الخوف، وقبل انسحابي من أمامه، وضع يده على جبينه:

- أوه لحظة لا تذهب كدت أنسى !

«هناك شيء من أجلك» هذا ما قاله مدير الدار وهو يهرب مبتعداً...

## «الورقة النقدية من فئة العشرة ريالات»

حين عاد مدير الدار، كان يحمل بين يديه حزمة الأوراق:  
 - جاءت بها طفلة صغيرة في غيابك، وطلبت مني تسليمها لك.  
 ثم حشر يده في جيب بنطاله العجيز، والذي لم أره في حياتي  
 يرتدي غيره:  
 - اللعنة أين اختفت - قال مدير الدار ذلك وهو يفتش في جيبي  
 عن شيء ما - تبأً أذكر أني وضعتها في هذا الجيب!  
 وعندما فتش في جميع جيوبه ولم يعثر على ذلك الشيء، استنتاج  
 أن ما كان يبحث عنه ربما قد يكون سقط من الداخل، ذلك أن جميع  
 جيوب بنطاله كانت ممزقة البطانة على حد قوله:  
 - دائمًا يغيب هذا الأمر عن بالي، لقد أضعت أشياء كثيرة بسبب  
 هذه الجيوب الممزقة.

- لحظة سترى.

ثم فجأة نظر يميناً وشمالاً، كما لو أنه يريد أن يفعل شيئاً دون أن

يتبعه عليه أحد:

- ماذَا ترِيدَ أَنْ تَفْعَلُ؟!

- سأجلبها لك - قال -

لم أكن واثقاً مما كان يريد أن يفعل عندما قال «سأجلبها لك»،  
لكني لم أصدق عيني، حين رأيته يفك إيزيم حزامه بسرعة، ويلقي  
نظرة مطولة على أعضائه المخبأة تحت بنطاله، يفتح بينها عن ذلك  
الشيء الذي سقط منه:

- وجدتها - صرخ -

\*\*\*\*

\*\*\*\*

ثم مد يده عميقاً ليأخذ ما كان يبحث عنه:

- انظر - قال ذلك وهو يمد في الهواء ورقة نقدية من فئة العشرة ريالات - لقد أعطتني الطفلة الصغيرة قبل أن ترحل هذه الورقة النقدية، وطلبت مني أيضاً أن أعطيها لك.

نظرت من مكاني وبأشمئزاز واضح، في تلك العشرة ريالات والتي بدت من بعيد كما لو أنها تطلب النجدة لبقائها فترة طويلة في ذلك المكان الملوث، ثم ولائي لا أريد أن أصاب بمرض جلدي خطير قلت له:

- لا أريدها تستطيع أن تحتفظ بها لنفسك.

أبريد أن يفعل شيئاً دون

نندما قال «سأجلبها لك  
أبريم حزامه بسرعة، ويلقي  
خاله، يفتش بينها عن ذلك

\*\*\*\*\*

- ييدو أن الأمر مهم - قال مدير الدار -

- أي أمر تقصد؟

- أقصد الأوراق.

- ما الذي يجعلك تقول هذا؟!

- لأن الطفلة الصغيرة عادت أكثر من مرة لتأكد من أنني ساعطيك حزمة الأوراق هذه، وفي المرة الأخيرة جاءت برفقة فتاة أظن أنها أمها، ولم تغادر إلا عندما جعلتني أقسم ثلاث مرات على أنني لن أنسى أمر إعطائك الأوراق.

فاطعت كلامه مندفعاً:

- هل تستطيع أن تصف لي تلك الفتاة التي كانت برفقة الطفلة الصغيرة؟!

- لا أتذكر ملامحها - ثم قال - لأنني لم أنظر إليها!

\*\*\*\*

كنت أعلم جيداً بأن لمدير الدار عيناً طويلة، لا ينتزعها عادة من وجه أي فتاة، لذلك سأله عن السبب الذي من أجله لم ينظر إلى تلك الفتاة التي جاءت برفقة الطفلة:

- لماذا لم تنظر إليها، أقصد لماذا لم تنظر إلى الفتاة التي جاءت برفقة الطفلة الصغيرة؟!

كنت أتوقع منه أي إجابة، لكنني لم أتوقع أبداً أن يقول:  
- لقد كانت جميلة، للحد الذي جعلني أخجل من النظر إليها!

من أني ساعده  
ت برفقة فتاة أو  
ثلاث مرات على

كانت برفقة الطفلة

لبيها!

## «الفتاة التي ينتهي اسمها بتاء مربوطة»

بعد خمس دقائق:

ينظر مدير الدار نحوي بفضول، إنه يريد معرفة قصة حزمة الأوراق التي في يدي، لكنه لا يعرف كيف يستدرجني للإجابة عما يدور في عقله من غير أن يبدو أمامي متطفلاً:

- ما قصة هذه الأوراق - سألني ببرود -

ولأننا حين نخبر أحدهم بسر، فإننا بذلك نكون قد أهدينا رصاصة ربما يقتلنا بها يوماً، لهذا يجب علينا أن نكون أكثر حرصاً في انتقاء الأشخاص الذين نكشف لهم عن أسرارنا:

- لا توجد قصة - ثم قلت لكي أقنعه أكثر - يبدو أن تلك الفتاة تريد نقداً أدبياً على كتاباتها، لذلك هي مهتمة بتسليمي حزمة الأوراق هذه.

لم تنطل تلك الحيلة عليه، لكنه تظاهر بأنه ابتلع الطعم، هز رأس  
مثل ثعلب:  
- هذا ما كنت أعتقده أنا أيضا!

\*\*\*\*

لم يعد في إمكاني التفكير، لدى أسئلة أريد الإجابة عنها:  
١ - من هي الطفلة الصغيرة، وأي لعبة شيطانية تمارسها ضدي؟!  
٢ - من هي تلك الفتاة التي جاءت لاحقاً برفقتها؟!  
٣ - من هي الفتاة الكاتبة؟!  
والسؤال الأهم هو:  
٤ - هل الفتاة التي جاءت برفقة الطفلة الصغيرة، والفتاة الكاتبة  
والفتاة التي ينتهي اسمها بتاء مربوطة هم شخص واحد؟!

ناظر بأنه ابتلع الطعم،

صرخت العجوز في داخلي وهي تلکزني بعصابها:

- هي أنت توقف عن طرح مزيد من الأسئلة أيها الأحمق، اقلب  
الصفحة ودعنا نقرأ ما في يدك!

\*\*\*\*

فتحت الصفحة الثالثة وقرأت:

«افترقا لكتك معى  
أدعوك في سجودي  
أستغفر لك الله دوماً  
أهمس باسمك للفقراء  
حين أدس في يدهم صدقة  
أطلب منهم الدعاء لك بدلاً من دعائهم لي  
أطيل النظر في عيونهم الحزينة  
فأراك في عيونهم تقف

سئلة أريد الإجابة عنها:

لعبة شيطانية تمارسها ضلائلاً

للاحقاً برفقتها؟!

سئلة الصغيرة، والفتاة الكاتبة

لم شخص واحد؟!

تمد لي يداً وتصرخ:

«أريدك»

هل تعرف ما هو الحب؟!

هو أن تعمل جاهداً كي تلتقي بمن تحب في الجنة

هو أن تدعوا لمن تحب أكثر من دعائك لنفسك.

أتعلم؟!

ما زلت أحفظ بورودك الحمراء،

تلك التي أهديتها لي عندما جئت لتخطبني!

وأدس لنفسي في كل ليلة

أسفل وسادتي وردة

لتخبرني بصوت مختنق

ينبعث بعد نومي من أسفل الوسادة:

«بأنك تحبني، وبأني لا أزال كل أشيائك الجميلة»

بالمناسبة :

هل تعلم لماذا ذبلت تلك الورود الحمراء؟!

ليس لأن الموت سرق منها الحياة

بل لأننا افترقنا ولم نعد معاً.

تحب في الجنة

ذلك لنفسك.

طبني!

جميلة»

- يا إلهي إنها هي  
 - من هي - سألني مدير الدار، وحين طال صمتي ولم أجيب،  
 أعاد السؤال مرة أخرى:  
 ! من هي ؟

- ل، لن أتأخر سأعود  
 .. وابتعدت

\*\*\*\*

- إنها الفتاة - هذا ما كنت أهذى به بينما أبحث في الشارع عن  
 سيارة أجرة - إنها حتما الفتاة التي ينتهي اسمها بتاء مربوطة، لا بد  
 أنها قرأت الرسالة.

أخيراً ارتميت مثل قتيل في المقعد الخلفي لسيارة الأجرة،  
وانسحبت عائداً نحو الفندق، مثل دودة عادت إلى مخبئها حين  
استشعرت خطراً ما يقترب منها.

كنت أفكّر بينما كان السائق يسير بي نحو الفندق:  
«هل يعقل أنها تزوجت؟! هل تكون تلك الطفلة الصغيرة  
ابتها؟!»

ثم صرخت فجأة:

- لا لا مستحيل لن تتزوج، لقد اتفقنا!

مد سائق الأجرة يده، حرك بها المرأة الأمامية المتسلية من  
السقف، بحيث يصبح في مقدوره رؤيتي من خلالها:

- هل هناك خطب ما؟!

انتبهت إلى شدة انفعالي:

- لا، آسف - أخذت نفساً عميقاً - واصل السير من فضلك.

ب سيارة الإ  
إلى مخبئها

ثم وفي تلك اللحظة التفت نحوي رأس الطفلة الصغيرة من المقعد الأمامي:

- هذا أنتِ مجددًا؟!

هزت رأسها دون أن تتكلم

- من تكونين - صرخت بأعلى صوتي - هل الفتاة التي أعطتك هذه الأوراق أمك؟!

لدت شفتها السفلية وهزت رأسها بطريقة لم أعلم إن كانت تقصد أن تقول بها نعم أم لا، ثم سحبت رأسها وجلست معتدلة في كرسيها.

اندفعت من الخلف نحوها: هل الفتاة الكاتبة أمك أم لا؟!

لكنها لم تجني، لأنها اختفت!

توقفت سيارة الأجرة جانبياً:

- هل هناك مشكلة يا سيد؟!

- الطفلة - قلت -

الطفلة الفن

مية المتذلة

من فضلك

- أي طفلة؟!

- الطفلة الصغيرة، التي .. أقصد لقد كانت تجلس هنا طفلة

صغيرة هل رأيتها؟!

- لم يكن يجلس هنا أحد

- لقدر رأيتها، لقد كانت تجلس هنا منذ قليل

- كف عن الصراخ - قال سائق الأجرة بغضب - لم يجلس هنا

أحد منذ اللحظة التي صعدت فيها معي !

ثم أشعل الأضواء الداخلية للسيارة:

- انظر بعينك لا أحد يجلس هنا غيرنا

جعلت أنظر في جميع مقاعد السيارة، كما لو أنني طفل عبيد لا يصدق شيئاً حتى يتحقق بنفسه:

- حسناً تبدو محقّاً، واصل السير من فضلك.

\*\*\*\*

وَحِينْ طَالَ الْوَقْتُ وَلَمْ تَتْرُكْ سِيَارَةُ الْأَجْرَةِ مِنْ مَكَانِهَا قَلْتُ

أَفْصَدْ لَقَدْ كَانَتْ تَجْلِسُ<sup>ر</sup> مِسْتَهْمَّاً:

- مَا بِكَ لِمَاذَا لَا تَوَاصِلُ السَّيرَ؟

- أَعْتَذْرُ مِنْكَ - قَالْ سَائِقُ الْأَجْرَةِ - لَا أُسْتَطِعُ إِيصالَكَ!

- لَكِنْ ..

- أَرْجُوكَ انْزَلْ مِنْ سِيَارَتِيِّ - ثُمَّ أَضَافَ - وَسَاعِدْ لَكَ كَامِلَ  
الْأَجْرَةِ المَدْفُوعَةِ.

سَاهِنَا مِنْذَ قَلِيلٍ

سَاهِنَا الْأَجْرَةِ بِغَضْبٍ - لِمَ بَعْدَ

نِيَاهَا مَعِيِّ !

كَانَتْ نِبْرَةُ صَوْتِهِ مَرْتَبَكَةً وَصَارِمَةً فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ، وَعَرَفَتْ مِنْ  
خَلَالِهَا أَنِّي لَنْ أُسْتَطِعُ إِقْنَاعِهِ بِأَنِّي شَخْصٌ سَلِيمٌ، لَا يَعْانِي مِنْ شَيْءٍ  
فِي عَقْلِهِ، لَذَلِكَ فَتَحَتَ الْبَابُ الْخَلْفِيُّ لِسِيَارَةِ الْأَجْرَةِ، وَهَبَطَتْ مِنْهَا  
وَأَنَا أَتَمَّتُ بِصَوْتِ نَادِمٍ:

- لَكِنِّي مَتَأْكِدُ مِنْ أَنِّي رَأَيْتُهَا.

لَمْ يَلْعَمْ السِّيَارَةَ، كَمَا لَوْ أَنِّي طَفَلٌ<sup>ش</sup>

الْسَّيرُ مِنْ فَضْلِكَ.

## الباب الثاني

«رسائل الفتاة التي ينتهي اسمها بتاء مربوطة»

لَا تدع وجهي المبتسم يخدعك،  
كُل شيء في داخلي آخذ بالانهيار!

أهلاً،

اشتقت إليك،

يا من لا يشفع لغيابه شيء حتى الموت،

هذه أنا: حلمك الغائب،

كيف أنت؟!

أتمنى أن تكون بخير ..

\*\*\*\*

الاثنين،

٤:٥٧ مساءً،

«في المكتبة»

لم أكن حينها أفكر بشيء إلا بك كعادتي، عندما كنت أتجول  
وحيدة في أروقة إحدى المكتبات، أفتشر عن كتاب جيد يشعرني  
بالأمان في هذه الغربة.

لـ.. لم أغادر البلاد، لكن ثمة وطن كبير غادرني فأنت لم تكن  
لي حبيباً فقط، بل كنت وطناً كبيراً ينتمي عالمي الأعظم إلى خلايا  
صلعه الأعرج.

\*\*\*\*

قبل أن نفترق لم أكن أحب القراءة أتذكرة؟!

لكني أصبحت أحبها كثيراً، لأنها الشيء الوحيد الذي بات بذكر  
بك، والمكان السري الذي أستطيع أن أقابلك فيه، والزمان العكسي  
الذي يعيدني إليك، كم من المرات التقينا في حكايا السندياد،  
وحلقت معك عالياً برفقة بيتر بان، وراقصتك في ساحات الغجر،  
أمام كنائس أحدب نوتردام، وانحنت لنا جميع أميرات ديزني، حين  
زفتني إليك الحياة!

\*\*\*\*

\*\*\*

في تلك الأيام:

كنت أقف حائرة حين أراك تحدث أحد الكتب، كما لو أن في  
مقدور ذلك الكتاب فعلاً أن يسمع ما تقوله، و كنت أشعر بالحيرة  
أكثر عندما أراك تصمت مطولاً وأنت تنظر إلى الكتاب وتهز رأسك  
بلطف، كما لو أن ذلك الكتاب يقول لك شيئاً ليس في مقدور أحد  
أن يسمعه غيرك.

- الكتب هم أصدقائي العقلاء، في هذا العالم المجنون!  
كُنْتُ أنظر إليك بلامه وأقول لك بأنني لا أفهم ما تقوله ..  
فأتبسم لي بهدوء، وتعيد تثبيت النظارة على أربنة أنفك:  
- الكتاب عقل يفكر، لذلك حين أنتهي من قراءة كتاب جيد،  
أحب التحدث إليه.

ل القراءة أتذكر؟ !

\*\*\*\*\*

ولأنك كنت تقرأ كثيراً، فقد كان كلامك رائعًا، ولأنني لم أكن  
أقرأ، فقد كنت دائمًا أقف أمام كلماتك مسلولة وصامتة، مثل فرع  
بط نفس للتو من البيضة، وشاهد أمه تسبح بعيداً، هو يريد الذهاب  
إليها لكنه لا يفعل لأنه لم يتعلم بعد كيف يسبح في البحيرة.

ورغم علمك بأنني حينها لم أكن مهتمة بالثقافة، إلا أنك كنت  
دوماً تمطرني بمحاضرات أدبية، في الشعر والرواية والفلسفة، تلك  
المحاضرات التي لم تكن تلقيها أمامي، إلا لأنك لم تكن حينها  
تملك جمهوراً يصغي إلى ثرثراتك!

قلت لي مرة بأن الجميع في مقدورهم اليوم أن يكونوا شعراء،  
فالشعر على حد قولك بات كلاماً ليس له معنى، يقوله شخص  
مشهور فيصفق الجمهور وراءه مجاملة!

أعترف لك بأنني لم أكن أفهم حرفًا واحدًا من تلك المحاضرات،  
لكني كنت أصغي إليها جيداً، ذلك أن الأنثى تجد متعتها في الاستماع  
إلى أي هراء يقوله رجل تعجبه.

\*\*\*\*

رائعاً، ولا ينكر أحياناً يكون اختيار الكتاب المناسب للقراءة، أمراً مرهقاً ومعقداً،

إنه يشبه تلك الحيرة التي تصيب فتاة أنيقة، تريد اختيار فستان رائع

لمناسبة مهمة.

لكنك علمتني أن الكتب هي من تختار قراءها، وليس العكس

مثلاً ما يعتقد الناس:

- الكتب مخلوقات حية تتنفس، إنها تحتفظ بأرواح مؤلفيها،

جريبي أن تقفي أمام الرف بهدوء، تأملها كما لو أنك تراقبين

وردة تفتح، حين يشعر كتاب ما بالأمان نحوك، سيطلب منك

أن تأخذيه.

قلت لي أيضاً بأن لا أعتمد في قراءتي على الكتب التي يوصي بها

القراء الآخرون، وحين سألتني عن السبب، قلت:

- الكتب تشبه الدواء، والدواء الذي ينجح مع غيرك، ليس

بالضرورة أن ينجح معك، لذلك اقرئي فقط ما يناسب عقلك!

- دواء؟! - ردت باستفهام -

- نعم فالقراءة تصلح ما تفسده فيك الحياة!

\*\*\*\*\*

إنه أمر مختلف، حين تقع في حب شخص يحب القراءة والكتابة أكثر من أي شيء آخر، هو شيء رائع لكنه مرهق، فأنت تعامل مع شخص يؤمن بالقصص أكثر من إيمانه بالحقائق، إنه يفسر لك أكثر الأشياء تعقيداً كما لو أنه يروي لك حكاية قديمة، هو دائمًا يجد الأجرة المناسبة لأكثر الأسئلة صعوبة، ليس لأنه شخص منتف فقط، بل لأنه يثق بالخيال أكثر من ثقته بالعلم والمعرفة.

أذكر أنك سألتني ذات مرة: لماذا السمك لا يصدر أصواتاً مثل بقية الحيوانات؟!

فكرت آنذاك طويلاً لكنني لم أتوصل إلى إجابة مقنعة، فقلت لك: لا أعرف!

أجبتني: لأن البحر يسرق من الأسماك قدرتها على الكلام!

سألتك خائفة: ولماذا يفعل البحر شيئاً فظيعاً كهذا؟!

كنت واثقاً من إجابتك، كما لو أنك قرأتها في مجلة للأبحاث العلمية حين قلت:

«كي يضمن أنها لن تفضح أسراره حين تقع في شبак الصياد»

## «الكتاب الأسود»

الاثنين،

١٣: مسأء،

لا أزال في المكتبة،

مثل فتاة أوربية حسناء تجلس على حافة الكرسي أمام إحدى الطاولات، تتظاهر بالبراءة بينما تنتظر شاباً وسيماً يمد لها يده، يطلب مراقصتها في الاحتفال، هكذا كنت أقف في رواق المكتبة كما علمتني، أتأمل بهدوء تلك الكتب المترافقه، أنتظر كتاباً فوق الرف يغازلني بحضور، يغويني ببلباقه، يمس肯ني من خاصرتي بيديه الورقيتين يهمس لي في أذني:

- اقرئني يا سيدتي.

على أحد الرفوف البعيدة في المكتبة، كان هناك كتاب يغمض لي،  
كطفلة تعلمت للتو كيف تغمس، وكان يقفز في مكانه بحماسة ضفدع  
لمح ضفدعه تكشف عن نهديها في موسم التزاوج.

كان لون الغلاف أسود وكان عنوانه مكتوبًا باللون الأبيض  
والأحمر، بيد أنني لم أتمكن من قراءة العنوان بسبب المسافة الفاصلة.

كنت في طريقي للاقتراب منه، لكنني توقفت حين لمحت من  
بعيد صورة شاب عابس يقف في متتصف الغلاف.

فقد تذكرت أنك قلت لي في إحدى محاضراتك الأدبية تلك،  
بأنك لا تؤمن بالمؤلفين الذين يضعون صورهم على أغلفة كتبهم،  
وحين سألك لماذا قلت لي متذمراً:

- هم مؤلفون، وليسوا عارضي أزياء في مجلة هابطة!

ثم قلت لي بأن أغلب المؤلفين لا يضعون صورهم على أغلفة  
كتبهم إلا بحثاً عن الشهرة، وحين سألك ما العيب في ذلك قلت:

- الكاتب الحقيقي هو إنسان كهف، الشمس تفقده القدرة على  
الكتابة!

ان هناك كتاب ين

لي مكانه بمحاسن

التزواوج.

مكتوبًا باللون

بسبب المسافة

توقفت حين لمع

الغلاف.

محاضراتك الأدينة

صورهم على أغلفة ك

ي مجلة هابطة!

صعون صورهم على

ما العيب في ذلك نل

الشمس تفقد القدر:

ثم قلت موضحاً كلامك:

- لاحظي المؤلفين الجدد، إنهم يحسنون الكتابة في عملهم الأول، لأنهم لم يكونوا مشهورين أصلاً، ثم حين يبدأ الناس لاحقاً في التعرف عليهم، وتتجه الأضواء نحوهم، تصبح كتبهم التالية ردية، لا يصلح ورقها حتى أن يكون سفرة لطعام العشاء.

صمت قليلاً أفكر في كلامك ثم قلت:

- لا أدرى ولكن، لم تقعنني هذه المرة، أشعر بأنك تبالغ. حين قلت لك ذلك، شعرت بأنفاسك في سماعة الهاتف تزداد حدة، وبدأت أسمع فرقعة أصابع يديك، مثل ثور يحك حافره بالأرض استعداداً للهجوم على شخص يلوح له بقماشة حمراء.

ولأنني أعلم بأن دماء الشرق جميعها تصب في قلبك، مضفت شجاعتي، وسحبت ما قلته لك على عجل، حتى لا تحظى أيام خطوبتنا بمزيد من أيام الزعل:

- معك حق، أتفق معك، الكاتب الحقيقي هو إنسان كهف، والشمس تفقد القدرة على الكتابة!

ثم وحتى أصالحك أكثر وعدتك حينها بأنني لن أقرأ في حياتي كتاباً يضع المؤلف فيه صورته على غلافه، ومن أجل هذا الوعد تجاهلت أمر ذلك الكتاب الأسود، ورحت أفتشف عن كتاب آخر غيره.

### على رفوف المكتبة :

كان هناك كتاب يشعر بالضجر، وكتاب يحاول إقناع أحد القراء بأن يأخذه، وآخر يعاني بعض الرضوض لأن شخصاً متھوراً أسفقه، وكتاب يغط في نوم عميق لكنه يستيقظ فزعاً لأن كتاباً آخر يلکزه «*كف عن الشخير*»

وحده ذلك الكتاب ذو الغلاف الأسود هو من كان يلوح لي ويصرخ من بعيد رافعاً كلتا يديه، كطالب في الصف يعرف الإجابة الصحيحة.

ولأنني شعرت بشيء غريب أشبه بخيط لا مرئي يشدني نحو ذلك الكتاب، رحت أقنع نفسي بفكرة ما: «لن أقوم بشرائه، سأتصفحه فقط»، وهكذا وجدت نفسي أندفع نحو ذلك الرف البعيد، مثل زورق صغير يقترب من حافة شلال.

\*\*\*\*\*

أقرأ في جبل

لذا وعد نعم

خر غيره.

«مدينة الحب لا يسكنها العقلاء»

هكذا بدا العنوان مكتوباً في أعلى الغلاف، هبطت بيصري قليلاً  
لأشاهد وجه الشاب ثم ..

\*\*\*\*

إقناع أحد

لما متھرأت

كتاباً آخر بدلاً

ن كان بلون

يعرف إلا

يشددي نحو

رأيه، سأله

ف البعـد

لقد بدأ الأمر كما لو أني سمعت صافرة قطار، وحين التفت نحو الصوت، وجدت نفسي أقف على سكته، وأن الأواني قد فاتت على النجاة:

- يا رب الكون الكبير، إنه الموت، إنها عيناك، إنه أنت ..

\*\*\*\*\*

أتعلم:

منذ أن افترقنا وطيفك يلاحقني مثل لعنة أصابت قرصان، مثل شبح يظهر من شباك بيت مهجور يلوح للماردة بحزن لأنه فارق الحياة، كنت أراك في كل مكان أزوره، وحين أركض نحوك لأرتمي في حضنك كنت تخفي من أمامي في الثانية الأخيرة.

ذات مرة طلبت من النادل قهوة مرة:

- أين ستجلسين يا آنسة؟

كنت أفتش بعيني عن طاولة فارغة، حين لمحتك تشير بيده نحوي من الزاوية وتصرخ:

- تعالى هنا حجزت لك هذه الطاولة.

أشرت بإصبعي نحوه مبتسمة:

- سأجلس برفقة ذلك الشاب.

نظر النادل نحو المكان الذي أشرت إليه بإصبعي، لكنه لم ير أحداً:

- عفوا لا يوجد هناك شاب يا آنسة، توجد هناك فقط طاولة فارغة!

تذكرة أنه لا يمكن لأحد غيري أن يراك:

- هاه، سأجلس وحدي إذا على تلك الطاولة.

ثم ولأنني أعرف القهوة التي تفضلها، طلبت من النادل أن يضيف إلى قهوتي المرة، قهوة أخرى حلوة:

«كما تشائين يا آنسة»

حين جلست أمامك:

سألتك متى تكف عن مشاغباتك، أخبرتك غاضبة أن ظهورك  
المتكرر يسبب لي العرج:

- كف عن ظهورك هذا، أريد مواصلة الحياة بعدي!

ولأنه لم يهدِّ على وجهك التأثر، فكرت في أن أقول لك كذبة من  
شأنها أن تثير غضبك، لعلك تغادر من غير رجعة:

- هناك شاب جاء لخطبتي، أعتقد أنه طيب القلب، عموماً أخبرت  
والدتي بأنني موافقة!

«ليت لأنثى قلباً مثل قلوب الرجال، قلباً يصلح أن يكون مشروع  
وحدات سكنية، يأوي إليه العابر والمحتج، ولا يرفض المتردية ولا  
النطيفة، لكن الله خلق لأنثى قلباً يشبه العرش لا يجلس عليه إلا  
ملك واحد، حتى وإن كان ذلك الملك شخصاً لا يستحق»

يبدو أن الكذب حينها كان واضحاً على وجهي، الأمر الذي  
دفعك لتبتسم متوجهلاً كذبي وتقول: أنت كل أشيائي الجميلة.

ولأني فتاة بلهاء، تغضب من أتفه الأشياء وترضى بكلمة حلوة،  
نظرت إلى الأرض خجلاً، وحين رفعت رأسي لم أجدك أمامي على  
الطاولة، فقلت لك باكية:

- عذرًا لك، لقد طلبت لك قهوة حالية!

\*\*\*\*

في المكتبة:

حين رأيت صورتك على غلاف الكتاب، لم أجرؤ على مد يدي  
نحوك، لأنني كنت أخشى أن تكون طيفاً، وأنك ستهرب بعيداً عنّي،  
لو أني حاولت لمسك.

لذلك مكثت أحدق فيك لبعض الوقت ثم ..

هل جربت يوماً أن تذهب إلى حديقة الحيوان، وتشاهد الزوار  
يضعون في أيديهم طعاماً ويمدونه نحو القفص لإطعام الفيل؟!  
فتضع أنت بدورك بعضاً من ذلك الطعام وتمده نحو الفيل لإطعامه،  
هل جربت ذلك الخوف الذي يعتري قلبك حين يلتفت إليك الفيل  
ويقرر أن يتناول من يدك الطعام؟!

ضى بكلمة

أجدك أهلاً

هذا بالضبط ما كنت أشعر به عندما مددت يدي نحو صورتك  
على الغلاف ..

لمست الغلاف بيدي، وعندما لم تختفي صورتك، عرفت أنها  
كانت حقيقة، وليس طيفاً مثلما كنت أعتقد:  
- إنها صورته حقاً، لقد فعلها.

\*\*\*\*

أجرؤ على مدح  
ستهرب بعيان  
قد لا يعجبك ما سأقوله لك الآن لكنها الحقيقة:  
«خلف كل رجل ناجح امرأة تساعدة على النجاح،  
وخلف كل امرأة ناجحة قلب مكسور حطمته لها رجل وغاب»  
أذكر أنك كنت تريد أن تكون كاتباً، وأنك كنت تسعى جاهداً  
لتتأليف كتابك الأول، لكنك كنت مهزوزاً، لست واثقاً من نفسك،  
تخشى رد فعل الناس، و كنت خائفاً من أن لا يقرأ لك أحد، ولكن  
لأنني امرأة فقد كان واجبي يحتم علي دوماً أن أكون معك، أن آخذ  
بيدك لتحقق أحلامك، أن أخبرك بأن كل شيء سيكون على ما يرام،  
وبأنك يوماً ما ستصبح الكاتب الأول:

- حاول أن تكتب شيئاً - قلت لك عبر سماعة الهاتف -

- لن يقرأ لي أحد - أجبتني بإحباط واضح -

- صدقني سيقرأ لك الكثير

- هذالن يحدث - ثم قلت بعد تردد وكأنك تعرف بذنب ما - أنا

فشل لن يهتم أحد بما أكتب!

- بل سيحدث

- لن يحدث

- بل سيحدث

- قلت لك لن يحدث ألا تفهمين، أنا فاشل لن يهتم أحد بما  
أكتب، وانتهى الأمر !

«كنت سأقول لك حينها: بأنني سأهتم، وبأنني سأقرأ لك دوماً،  
وبأنني سأكون جميع جماهيرك الغفيرة»

لكني ما كدت أن أفتح فمي، حتى صرخت في أذني:

- أغلقِي هذا الموضوع رجاءً، أنت لا تعرفي كما أعرف نفسي،  
أنا فاشل لقد حاولت مرات كثيرة وفي كل مرة كنت أتلقي

انتقادات الجميع - ثم صمت قليلاً كأن هناك شيئاً ت يريد أن تخبرني به، لكنك أنهيت الحديث قائلاً - هذا يكفي لا أريد التحدث في هذا الموضوع مرة أخرى، أتفهمين؟!

سبب لي غضبك المتصاعد حينها توترًا في داخلي، مما جعلني لا إرادياً أوافقك على ما تقول علك تهدأ ويخف الغضب في داخلك:

- حسناً أنت فاشل، ولن أفتح هذا الموضوع مرة أخرى، أعدك!  
عندما سمعتني أقول لك بأنك فاشل، اعتبرتها شتيمة فأغلقت بوجهي الخط، ولم تسمعني حين قلت لك بصوت خافت:

آسفة لم أكن أقصد!

أحد: خشيت أن أعاود الاتصال عليك فتغضب أكثر لأنني لحقت بك، وخشيت أن لا أتصل فتعتقد أني لا أهتم لأمرك، تبعاً للرجال فلا أحد يعرف ما يدور في عقولهم، حتى هم أنفسهم لا يعرفون.

\*\*\*\*

في المكتبة:

كان هناك عدد لا يأس به من الناس، وكنت أشعر بأن في مقدورهم  
سماع ما يدور في قلبي، لهذا فكرت بمعادرة المكان والعودة للكتاب  
لاحقاً!

لكني في النهاية لم أغادر، لأنني تذكرت كلامك عندما قلت لي  
مرة بأن لا أكتثر بشأن أحد، وأن أتصرف أحياناً بغباء، لأن الأغياء  
هم أكثر الناس سعادة:

- ولماذا الأغياء أكثر الناس سعادة؟!

قلت لي حينها مالن أنساه أبداً:

- الأغياء أكثر الناس سعادة، لأنهم يتصرفون كما يحلو لهم، من  
غير أن يكون في استطاعة عقولهم البسيطة التفكير في الكلام  
الذي سيقوله الناس من وراء ظهورهم، لذلك إن أردت أن  
 تكوني سعيدة يجب عليك أحياناً، أن تتحلى بقدر كبير من  
 الغباء.

ولأنني أثق بنصائحك: تجاهلت الناس، وأخذت كتابك!

\*\*\*\*\*

بائع الكتب العجوز ذو الظهر المنحني إلى الأمام، والذي يملك  
أنفًا يشبه شخصاً يتکئ على جدار، كان ينظر نحوي بنصف عين، إنه  
يعتقد أنني سأسرق الكتاب، لهذا راح يتظاهر بمسح الطاولة، بينما  
كان ينظر نحوي من زاوية عينه محاولاً أن ينصب لي فخاً، حتى يلقي  
القبض علي متلبسة.

يبدو أن السنين الطويلة التي قضتها، لم تعلمه أن الرجال مهما  
تقدموا في الذكاء، فإنهم لا يستطيعون مهما فعلوا أن يتغلبوا على  
كيد امرأه.

\*\*\*\*

## ٤

### «القفز فوق بحيرة مليئة بتماسیح جائعة»

الإثنين،

٥:٣٩ مساءً،

«لا أزال في المكتبة»

حين أصبح الكتاب في يدي:

مررت أصابعى على أربنـة أنفك وعينـيك، وجعلـت أحـاول ترتـيب  
شعرـك ولحيـتك، وتعديلـ يـاقـة قميـصـك ورـبـطة عنـقـك، كـنـت أـتـلـمـس  
وجهـك عـلـى الغـلـاف وـأـنـا أـبـتـسـم مـثـل جـدـة عـمـيـاء تـلـمـس وجهـ حـفـيدـها  
لـأـوـلـ مـرـة فـي حـيـاتـها.

- هل تـرـيـدين شـراء الكـتاب؟!

سـأـلـني باـئـعـ الكـتب بـصـوت يـشـبـه صـرـير طـاحـونـة قـدـيمـة وـهـو يـنـظـر  
نـحـوي بشـكـ

- سـأـتـصـفحـه أـوـلـا!

نظر البائع نحو السقف وأشار بإصبع مجده، يكسوه شعر أبيض  
كثيف، بدا أنه كان يصففه في البيت مستخدماً مشطاً وسشوار:

- إن المكان مراقب بالكاميرات!

تظاهرت بأنني لم أفهم ما يقصد:

- سأدفع قيمة لو أعجبني.

\*\*\*\*

في ركن المكتبة كانت توجد بعض الكراسي والطاولات لتصفح الكتب، جعلت أسير نحوها وفي يدي الكتاب، و كنت أنظر إليه في كل لحظة حتى أتحقق من أن صورتك ما زالت على غلافه.

جلست فوق أحد الكراسي ثم:

أغمضت عيني سحيت من الهواء نفساً عميقاً، كنت متربدة في أمر قراءته، كان الأمر يبدو صعباً ومستحيلاً كما لو أنه سأقوم بالقفز من طائرة شراعية احترق جناحها فجأة، في اللحظة التي كانت تمضي فيها من فوق بحيرة تضج بتماسيح جائعة.

\*\*\*\*

في الغياب أيها الكاتب:

لَا أطلب منك الكثير، لَا أريدك أن تذكرني في إحدى روایاتك،  
وَلَا أُنْهَا بِخَبْرِهِمْ بَأْنِي كُنْتُ أَوْلَى مَنْ أَمْنَى بِكَ، كُلُّ مَا أَرِيدُهُ مِنْكَ هُوَ: أَنْ  
لَا تَدْعُ نجاحك سبباً فِي نسيانك لِي، وَأَنْ تَذْكُرَنِي بَيْنَكَ وَبَيْنَ نفْسِكَ  
مِنْ حِينٍ إِلَى حِينٍ، وَأَنْ تَخْبِئَنِي دَاخِلَ قَلْبِكَ بَعِيداً، فِي مَكَانٍ لَا تَصْلِي  
إِلَيْهِ يَدُ عَاشِقٍ جَدِيدٍ!

اذكرني كلما شعرت بحاجة إلى شخص يقف قريباً منك، حتى  
إذا رأك سقطت، اندفع نحوك يحملك بين ذراعيه، أو كلما استيقظت  
صباحاً، ولم تجد رسالة على هاتفك تخبرك بأن شخصاً اشتاق  
إليك، التفت خلفك عندما يخذلك الجميع، ستتجدني ظهراً في  
إمكانك الاستناد عليه، فمن يستند على امرأة، لا يخسر حتى ولو  
تأمر كل العالم عليه!

\*\*\*\*\*

المرأة دائمًا تمنى النجاح للشخص الذي تحبه، لكنها لا تريده أن  
يصبح مشهوراً، ليس لشيء عدا أنها تغار، والمرأة مهما بدت لطيفة  
مثـل نملة تسرق كسرة خبز من طبق الطعام، إلا أنها حين تغار، تصبح  
وحشـا لا يمكن ترويضـه.

\*\*\*\*

ولأن معلمة التوحيد أخبرتنا في الصـفـ: بأن الله ينزل إلى السماء  
الـدـنـيـاـ في كل ثـلـثـ أـخـيـرـ من اللـلـيـلـ، فقد أصبحـتـ أـدـعـوـ اللهـ قـبـلـ أـنـ أـنـامـ،  
بـأـنـ يـجـعـلـكـ قـرـدـاـ فـيـ عـيـونـهـمـ، حتـىـ لـاـ تـعـجـبـ بـكـ فـتـاهـ.

ثم انزلـتـ تحتـ اللـحـافـ حـزـينـةـ، ليسـ لـأـنـيـ أـخـافـ منـ عـدـمـ إـجـابـةـ  
الـدـعـاءـ، بلـ لـأـنـيـ أـعـلـمـ بـأـنـكـ حتـىـ لـوـ أـصـبـحـ قـرـدـاـ، فإـنـكـ سـتـكـونـ فـيـ  
عيـونـهـمـ قـرـدـاـ جـمـيـلاـ وـجـذـابـ، مثلـ فـسـتـانـ زـفـافـ أـبـيـضـ فـيـ عـيـونـ اـمـرـأـةـ  
عـزـباءـ.

\*\*\*\*

قد تطول بك الحياة، وتقع في حب امرأة تقسم لك على الحب،  
تقاسمك أحلامها، وتحمل عنك همومك الثقيلة، لكنك لن تجد  
امرأة تتنفسك مثلما كنت أفعل، امرأة تخبرك بأنها سترافقك حتى لو  
أخبرتها بأنك ذاهب نحو الموت، أو بأن الجحيم سيكون محطتك  
القادمة، امرأة كانت مستعدة لأن تضحي بأكثر الأشياء أهمية، لترك  
سعيداً، آسفة لقول ذلك لكنني أنا هي تلك الفرصة التي لن يكررها  
للك زمان مرتين.

\*\*\*\*\*

## «العنزة الصغيرة التي لا تعرف مصلحة نفسها»

الاثنين،

٦:١٤ مساءً،

المتزل،

«بعد أن عدت من المكتبة»

الكذب ليس صفة جيدة، ومع ذلك لطالما تمنيت لو أن في  
استطاعتي الكذب بمهارة، دون أن يظهر ذلك واضحاً على وجهي  
أو صوتي.

فكم من المرات أخبرتك بأنني أصبحت أكرهك وأنني لا أريد  
النظر إلى وجهك بسبب برودك وعدم مبالاتك وأنني سأجد شخصاً  
آخر يستحقني أكثر منك، وأنني سأنساك ولن ألتقط لك، لكنك كنت

دوماً تبتسم في وجهي كما لو أن كل تلك التهديدات لم تكن إلا

نكتة:

- لماذا تبتسم، أقول لك بأنني أكرهك!

- أبتسם لأنك عندما تكذبين تصبحين أجمل.

\*\*\*\*

دعني أعترف لك بشيء:

في تلك الأيام التي كنت تهجرني فيها من غير سبب، كنت أهانف صديقائي، أطلب منهم النجدة، أتوسل إليهم بأن يأخذن بيدي بعيداً عنك ..

كانوا يقولون لي: «هو لا يستحقك»

فأهزر رأسي مثل عزبة صغيرة لا تعرف مصلحة نفسها وأرددت:

«نعم هو لا يستحقني»

كانوا يقولون لي «ارحلي عنه وتذكري أن العمر لن يتوقف عليه»

فأهزر رأسي مثل عنزة صغيرة لا تعرف مصلحة نفسها وأردد:

«نعم لن يتوقف العمر عليه»

كانوا يقولون لي: «لا تجبي عليه حين يهاشك»

فأهزر رأسي مثل عنزة صغيرة لا تعرف مصلحة نفسها وأردد:

«نعم، لن أجيب عليه حين يهاطفني»

كان رأسي يمتلئ بكلامهن، وكنت في كل دقيقة أقضيها معهن، أصبح أقوى، وأكثر قناعة بأنني سأتمكن من هجرك هذه المرة، وقبل أن أنهي معهن المكالمة، كنت أودعهن بحرارة شاب مخدوع يعتقد أن سبب، كنت أنه سيذهب إلى الجنة، إذا ما قام بتفجير نفسه في مسجد أو كنيسة ..

لأن يأخذن يلهمونني، لكن حين ألمح رقمك على شاشة الهاتف، كنت أفقد السيطرة على نفسي، ولا أستطيع منع يدي من التقاط السماعة، وحين أسمع صوتك كنت أنسى كل ما قالوه لي، وأصغي إلى كلماتك بصمت،

وفي اللحظة التي تسألني فيها «هل تحببني؟!؟»

كنت أهزر رأسي مثل عنزة صغيرة لا تعرف مصلحة نفسها، وأقول:

«نعم، أحبك».

\*\*\*\*

ماذا أفعل وأنا التي، كلما حاولت الابتعاد عنك عدت مرة أخرى  
إليك، ليس ضعفاً عدا أنني لا أملك مكاناً غير قلبك ألجأ إليه.

\*\*\*\*

الاثنين،

٦:٢٣ مساءً،

«غرفتني»

أخرجت الرواية من حقيبة يدي، وبدأت أقرأ ..

\*\*\*\*

## ٦

### «الكتابة شفاء للذاكرة»

الاثنين،

٩:٣٣ مساءً،

«حين انتهيت من قراءة كتابك»

ما فرأته كان ساحراً، ولا أعلم هل لأنه كان جميلاً، أم لأنك أنت  
من قام بكتابته، لكن ما أعلمه جيداً هو: أن رحيلي عنك من جعل  
منك كاتباً

أتعلم؟! «لو أن الأقدار تعيدني إليك ست فقد حينها قدرتك على  
الكتابة.»

- حتى أكتب، أنا في حاجة إلى جرح عميق - هذا ما قلته لي  
مرة -

- لماذا تقول ذلك - سألك حينها من خلف السماuga -

- لا يستطيع المؤلف أن يكتب شيئاً من غير أن يكون ممثلاً بالألم  
ذلك أن الألم هو ما يدفع الكلمات للخروج.

- الخروج؟!

- نعم الخروج من قمقها!

- قمق - ردت خلفك مستفهمة - ما معنى قمق؟!

- في الحكايات القديمة: يكون المارد محبوساً داخل القمق  
حتى يأتي من يخرجه منه.

- آه فهمت أنت تعني أن جميع المؤلفين قد عانوا جرحاً في يوم  
ما لذلك كتبوا؟!

- لا، بل هم على قيد الجرح طالما أنهم يكتبون.

فهمت حينها ما كنت ترمي إليه، لكن لأنني كنت أريد المواصلة  
في سمع صوتك وإطالة الحديث معك، تظاهرت بأنني لا أفهم  
كلامك، وهذا ما تفعله المرأة أحياناً مع الرجل، إنها تظاهر بعدم  
الفهم لتوacial الاستماع إلى صوته أطول فترة ممكنة:

- لم أفهم.

- لا جديد أنت دائماً لا تفهمين، سأبسط الموضوع لك!

اجتمعت حينها ملامح وجهي عند أربنـة أنفي كما لو أني أكلت شيئاً حامضاً، لا أعلم هل أفرح لأنـي نجحت في إطالة الحديث معك، أم أغضـب لأنـك وصفـتني بأنـي دائمـاً لا أفهم، لكنـ على كلـ حال التزمـت الصـمت وواصلـت الإنـصـات إليـك.

الكتابة شفاء للذاكرة، نحن نكتب لأن ثمة خيبة في داخلنا لا يستطيع أحد شفاعنا منها غير الكتابة، ولكن حين يطيب ذلك الجرح، لا يصبح للكلمات التي نكتبها معنى، لهذا يفترش المؤلفون دائمًا عن جرح آخر، كلما أرادوا تأليف كتاب جديد، فهمتِ؟!

كنت أريد أن أقول لك بأنني لم أفهم حتى تستمر في الحديث،  
لكنني خشيت من ردة فعلك هذه المرة:

نعم فهمت!

卷之三

حتى أكون صريحة معك، لا أدرى إن كنت رجلاً سيداً معي أم أن  
هذا طبع الرجال عموماً، فأنت أول رجل يقفز من فوق أسوار قلبي،  
لكن ما أعلمك جيداً هو أنني كنت أحبك، وهذا وحده سبب يكفي  
لأغفر لك كل شيء، فنحن لسنا بحاجة للأعذار، حين يتعلق الأمر  
بشخص نحبه، فالحب يعني أن تغفر دون انتظار عذر.

ال المناسبة:

عندما كنت أعتابك لم يكن يعني أنني كنت أكرهك، أو لأنني  
كنت أحب اختلاف المشاكل على حد قولك، بل كان يعني أنني كنت  
أحبك، ولا أريد البقاء دونك، فنحن نعاتب فقط الأشخاص الذين  
نهم لأمرهم، ولا نستطيعمواصلة الحياة بدونهم ..

كان عليك أن تحذرني في اللحظة التي أراك فيها مخطئاً ولا  
أعتابك، فالرجل عليه أن يحاسب نفسه ألف مرة عندما تتوقف امرأة  
عن معايتها، لأن المرأة عادة لا تصمت إلا حين تقرر أن الكلام لم  
يعد مفيداً، وأن الرحيل وحده هو الحل المناسب.

\*\*\*\*

رجلًا سينما معروفاً  
من فوق أسوار فلسطين  
ـ وحده سبب بـ  
ـ، حين يتعلّم الـ  
ـ عذر.

وأقسى ما في رحيل المرأة، هو أنها حين ترحل لا تعود مرة أخرى، وإن أشفقت عليك وعادت، فإنها تعود امرأة أخرى لا علاقة لها بذلك الأنثى التي كانت معك يوماً.

\*\*\*\*

وأنت:

على الرغم من أنك، لم تكن تقول كلام الحب إلا في العام مرة،  
أو عندما تدرك أنك ارتكبت خطأً فادحاً في حقي، إلا أنني كلما  
شعرت بحاجة إلى سماع كلمة حب منك، كنت أنتزعها منك غصباً،  
ف صحيح أن فمك كان طوال الوقت صامتاً، لكن عينيك كانتا تحكيان  
لي الكثير دوماً، وهكذا كلما نظرت إليهما، كانتا تخبرانني بأنك  
تحبني جداً!

وأنا:

لست ثرثارة، ولا أمتلك عادة الضحك الكثير، لا أحب الأحاديث  
في الأشياء التافهة، وكانت دوماً الطرف الذي يظل صامتاً حتى يقرر  
الآخرون التحدث معه، لكن أمامك كان الأمر دائماً يبدو على نحو  
آخر ..

أمامك:

أنا الثرثارة التي لا تجيد الصمت، الفتاة التي تضحك لأنفه  
الأسباب، وتذوب في فنجالك مثل قطعة سكر لو أنك عن طريق  
الخطأ امتدحت شيئاً فيها، أنا الفتاة العاقلة التي كنت يا سيدى تنزع  
عنها عقلها بكل سهولة، مثل نادل في مطعم فخم ينزع معطف الفرو  
عن جسد سيدة حسناء، أنا تلك الفتاة التي لا تكتثر بشأن أحد،  
لكنها أمامك كانت تصبح مثل طفلة صغيرة تلوى شفتها السفلية  
وتقطب حاجبيها، عندما تخبرها بأن أشغالك العديدة تمنعك من  
البقاء معها، أنا تلك العينية التي كانت تغضب منك وتغلق الخط في  
 وجهك، وتقسم بالله أن تلقنك درساً لن تنساه، ثم بعد دقيقتين فقط  
تعود إليك مثل قطة أليفة، ترکض خلف سيدها وهي تهز ذيلها، لأنها  
لمحت في يده طبق طعام.

\*\*\*\*\*

لو أن الإنسان حين يكذب، يطول أنفه ستمترًا واحدًا، كما كان يحدث في قصة بينوكيو، لأصبح الرجال في حاجة إلى آلاف الكيلومترات أمامهم، حتى يمشوا دون أن تصطدم أنوفهم بشيء.

ورغم هذا كنت دائمًا أقوم بتصديقك، حتى حين كنت أعلم بأنك تكذب، إلا أنك حين أخبرتني برغبتك في الزواج بي، كان يجب علي أن أجعلك تقسم بالله خمس مرات وفي يدك المصحف على أنك صادق فيما تقوله، ليس لشيء عدا أنني كنت أعلم جيداً كيف يفكر رجال الشرق، إنهم يعتقدون أن هناك فتاة وجدت للحب، وأخرى للزواج، لذلك حين يقعون في حب فتاة لا يتزوجونها، بل يتزوجون من فتاة أخرى تختارها لهم أمهاهاتهم: فتاة لا يعرفون عنها شيئاً، عدا أنها في إحدى المناسبات، أجادت رقصة فوق خشبة المسرح.



إلى رجل لم يقع في الحب بعد:

حاول أن لا تورط نفسك في حب فتاة إن لم تكن شجاعاً، فالحب  
ليس كلاماً يُقال بعد منتصف الليل، إنه أمان ووعود، وأيمان غليظة  
وعهود، قضية شرف، عار عليك أن لا تربحها!

لا بأس في اختيار الأم، لكن شرط أن يكون قلبك خالياً من حب  
فتاة، فليس من الرجلة في شيء، أن تخذل فتاة كانت مستعدة لأن  
تشعل النار في كوكب الأرض، ثم تقدمه لك في يدها على أنه جمرة،  
لو أنك فقط أخبرتها يوماً بأن برد الشتاء آذى عظامك الصغيرة.

\*\*\*\*\*

## « حين رأيتكم كفرت بكل معتقداتي »

بعد انتهاءي من قراءة الكتاب، وضعته داخل حقيبة يدي، وشعرت  
بأنني ممتنة لك جداً لأنك فعلت شيئاً من أجلي، في الوقت الذي كان  
بمقدورك فيه استبدالي بفتاة أخرى، فالحب اليوم أصبح سلعة يُباع  
في متاجر الخردة والجملة!

كتابك:

كان أشبه بالانتحار، سيهاجمك الناس، سيغضبون عليك، ربما  
يشتمونك أو ينعتونك بالكفر والزندقة، إنهم أنفسهم أكثر العالم  
سقوطاً في الحب، لكنهم أكثر العالم أيضاً خوفاً وهرباً منه، ربما  
لأنهم تألموا منه كثيراً، فإنك حين تفتش خلف أولئك الذين اعتزلوا  
الحب، تكتشف أنهم فيما مضى كانوا أكثر الناس صدقاً وغراماً، إلا  
أن واجعاً فظيعاً أصابهم جعلهم لا يثرون به مرة أخرى.

\*\*\*\*

يجب علينا أن ندرك أن العيب ليس في الحب، بل في اختيارنا  
الخاطئة، هناك بشر لو أنها حين رأيناهم أول مرة كنا قد استعدنا بالله  
من الشيطان الرجيم، لا ختفوا من أمامنا فوراً»

\*\*\*\*

في الحقيقة:

كانت الصدقة دوماً خياري المفضل، وكنت دوماً أو من بأن  
الأذكياء لا يليق بهم الوقع في شراك الحب، ولطالما كنت أعتقد  
أن الوحيدة هي قدر الإنسان، فهو يأتي إلى الدنيا وحده، ويغادرها  
وحده، ويحاسبه الله يوم القيمة وحده!

«لكني حين رأيتكم: كفرت بكل تلك المعتقدات،  
وآمنت بأن الحب قدر بأنه بلاء وأن الله إذا أحب عبداً ابتلاه»

\*\*\*\*

لعيّب ليس في الحب، بل في الحزن  
من أمامنا فوراً»

ربما سأكتب:

بل من المؤكد أني سأكتب، لكن لا أعتقد أن كتاباتي ستصل  
إليك، فمن غير الممكن إرسال حزمة من الأوراق عبر إحدى  
شركات الشحن، إلى شخص لم أعد أعرف عنه بعد هذه الأعوام،  
إلا اسمه وملامح وجهه.

خطر في بالي أن أستعيّر طريقتك، وأقوم بطباعة هذه الرسائل  
على هيئة كتاب، علّك تقوم بقراءته يوماً، لكن المشكلة تكمن في  
أني متأكدة بأنه لا توجد هناك دار للنشر، ستتوافق على طباعة هذا  
الهراء الذي أقوم بكتابته الآن، وحتى لو جعل الله من بين أيديهم  
سدًا، وجعل من خلفهم سدًا، وأغشى أبصارهم وجعلهم يوافدون  
على طباعة هذه الأوراق، فلن أستطيع وضع اسمي أو صوري على  
الغلاف مثلما فعلت أنت، لأنني لست مستعدة للموت حرفاً بالنار.

تلك المعتقدات،

أن الله إذا أحب عبداً ابتلاه

ورغم كل هذا، ولأنني أتألم كثيراً، وأريد أن أحلق عاليًا فوق  
سطح الجرح، سأكتب وسأحتفظ بالأوراق لنفسي، أو ربما أمزقها  
حين أنتهي، لكن المهم هو أن أكتب، فالكتابة كما علمتني أنت:  
شفاء للذاكرة.

«الرسائل الثانية، للفتاة التي

ينتهي اسمها بتاء مربوطة»

كان يجب علينا أن نبقى أصدقاء  
فالحب عمره قصير جداً

قال أحد الحكماء:

بأن المرأة مخلوق رائع،

ولو أن الله خلقها طائراً ل كانت طاووساً،

ولو أنه خلقها حيواناً ل كانت غزالاً،

ولو أنه خلقها حشرة ل كانت فراشة،

ولكنه خلقها بشرًا فكانت:

أمًا، وأختًا، وزوجة،

ولو لم تكن شيئاً عظيماً جدًا،

لما جعلها الله حورية يكافي

بها عباده المؤمنين في الجنة.

هناك شخص حين تراه تدرك أن الحياة بخير، وأن العالم ما زال  
في مقدوره إسعادنا، أحببتك كما لو أنك آخر مخلوق في الدنيا، كما  
لو أن البشر سيتهون من الأرض قريباً، وأنت الأمل الأخير الباقي  
لعدم انفراط البشرية، لكن فاتني أن أعلم بأن الفرح وقته قصير، وأن  
القدر صياد ماهر، يصطاد كل شخص نعترف له بالحب.

أتساءل دائمًا: هل كان في مقدورنا مراوغة القدر؟!

أعني لو أنها كنا قد تجنبنا كلام الحب،

وتظاهرنا بأننا صديقان لا أكثر،

هل كان القدر حينها سيمضي بمحاذاتنا

دون أن يخطفك مني؟

ثُرى كم كان يلزمـنا من المكر

حتى نقـي أعين الأقدار بعيدـة عـنا،

وكم يلزمـني الآـن من الصـبر

حتـى أحـتمـل غـيـابـك عـنـي !

طالما أن الأقدار

تأخذ منا كل شيء نحبه،

مارأيك في أن

نحب هذا الفراق الذي بيننا،

عل الأقدار تأخذه منا

ونلتقي أنا وأنت مرة أخرى.

لا أخفيك سرًا:

بأن قلبي يتمنى أن تخذلك جميع نساء العالم

حتى أبقى في ذاكرتك فتاة لا تنجح في نسيانها أبدًا

ربما سأرحل عنك، لكنني مضطرة إلى ذلك، لا تقلق لن أبتعد  
كثيراً، سأظل أراقبك من حيث لا تعلم، ذلك أننا في الفراق لا نختفي  
كما تظنون، بل نختبئ في مكان قريب منكم، لنراقب بصمت كل  
الأشياء التي تفعلونها في غيابنا!

ما أخبرها به

لأنه يجل منك حين

لذلك فقد لها القدرة

أصافع طيف يدك الممتدة في الهواء،  
أقبل هواء المدينة في كل لحظة فربما،  
مضت من أمامي نسمة هواء تحمل ثاني أكسيدك!  
أنا دyi طيور السماء:

- «قولي له بأنني أحبه ولن أنساه،  
وبأنه سيظل دائماً كل أشيائي الجميلة»  
تعلق نحوك الطيور دون أن تسألني عن العنوان  
بكفيها أن تنظر إلى عيني لحظة فتعرف عنوان بيتك

قبل أن تفتش  
يمضدو

ذلك، لا

أننا في

كم، لنراقب

لكنها حين تركت تصمت وتحدق فيك بإعجاب،

هي لا تشرث معك كما تفعل كل يوم معي أمام الشباك،

ليس لأنها تنسى ما أخبرها به،

ليس لأنها تخجل منك حين تركت،

بل لأن هيبيتك تفقدها القدرة على الكلام»

أكسيدك!

قبل أن تفتش عن الحب، فتش عن أصدقاء،  
ينقذونك من ذلك الحب حين ينتهي.

لعنوان

وأن بيتك

لنا الأقدار:  
لأن فأحباباً،  
في النهاية يعود كل

عندما نتمسك بكم، لا يعني أننا نخاف رحيلكم، فنحن لأنفسنا  
رحيل أحد، وليس منا من يخاف البقاء وحيداً، كل ما نخشاه هو:  
ذلك الشوق الذي يصيّبنا بعد الفراق، لو أننا نضمن النسيان، لما خفنا  
احتمال غيابكم يوماً.

«بيد أن النسيان كذبة الإنسان الكبرى،  
لا أحد ينسى بل يتظاهر الجميع بالنسيان،  
نعلم عنهم كل شيء، نشاركهم أدق تفاصيل اللحظات،  
ثم نفارقهم فجأة، ونواصل من غيرهم الحياة،  
وبعد أعوام:  
ترتب لنا الأقدار موعداً معهم في مكان عام،  
فنمضي بمحاذة بعضنا كما لو أننا أغرباء،  
تلامس أو جاعنا لكن لا يتحقق لنا الالتفات أو سؤالهم،  
عن الشخص الذي احتل مكاننا في الغياب،

قال

هذه سنة الأقدار:

أغربُ فأحباب،

وفي النهاية يعود كل شيء مثلما كان»

قال لها: أنتِ طيبة جيدة  
ابتسمت ولم تفهم قصده  
قال: لأنني حين أفكر قليلاً بك أشفي

أكثـر ما يؤرقـنا بـعد الفـراق هـو:

عمر طـوـيل كـنـا نـظـنـ أـنـا سـنـحـيـاهـ مـعـهـمـ،ـ وـإـذـ بـنـا سـنـحـيـاهـ دـونـهـمـ،ـ  
وـأـحـلـامـ كـثـيرـةـ كـنـا نـظـنـ أـنـا سـنـحـقـقـهـاـ بـصـحـبـتـهـمـ،ـ لـكـنـتـا سـنـواـصـلـ  
تـحـقـيقـهـاـ مـعـ غـيـرـهـمـ،ـ وـمـقـاهـ اـحـتـسـيـنـاـ فـيـهـاـ نـخـبـ حـبـ كـنـا نـظـنـ أـنـهـ  
سـيـمـتـدـ بـنـاـ إـلـىـ آـخـرـ الـعـمـرـ،ـ وـأـمـنـيـاتـ لـفـرـطـ بـسـاطـتـهـاـ لـمـ نـكـنـ نـظـنـ أـنـ  
الـحـيـاةـ سـتـبـخـلـ بـهـاـ عـلـيـنـاـ،ـ فـاتـنـاـ أـنـ نـجـتـنـبـ كـثـيرـاـ مـنـ الـظـنـ،ـ فـاـكـشـفـنـاـ  
مـتأـخـرـاـ:ـ أـنـ بـعـضـ الـظـنـ إـثـمـ.

أتـخيـلـكـ عـنـدـمـاـ تـصـبـحـ كـبـيرـاـ فـيـ الـعـمـرـ:

تـخـبـرـنـيـ بـأـنـ ظـهـرـكـ أـصـبـحـ يـوـمـ بـخـيرـ وـأـنـ

عـظـامـكـ تـحـسـنـتـ كـثـيرـاـ بـعـدـ الدـوـاءـ،ـ

تـخـبـرـنـيـ أـنـ الطـبـيـبـ أـكـدـ أـنـكـ سـتـكـونـ عـلـىـ مـاـ يـرـامـ،ـ

وـأـنـ كـلـ أـوـجـاعـكـ لـيـسـ إـلـاـ أـعـرـاضـ بـرـيدـ سـيـتـكـفـلـ بـهـاـ الدـوـاءـ،ـ

وـرـغـمـ أـنـيـ أـعـلـمـ بـأـنـكـ لـسـتـ بـخـيرـ،ـ

وأنك تكذب حتى لا تقلقني عليك،  
إلا أنني أبتسم وأتأمل مطولاً في عينيك فأقرأ فيهما:  
«أنا خائف»

أسك يدك المجعدة أمرر يدي على خاتمك الذي  
ما زال يحتفظ بحروف اسمي الأربعه،  
أسند رأسي على كتفك الذي لم يعد قويًا كما كان لكنه،  
أصبح أكثر أماناً من أي يوم مضى،  
- لا تخاف أنا معك !

تدرك أنني قرأت ما كان مكتوبًا في عينيك،  
فتهمس لي بصوت منخفض: أحبك

أ ظاهـر فجـأة بـأني لمـحت شيئاً مـضـى من خـلـفـي،  
أـلـتـفـت إـلـيـه حـتـى لـا تـرـى اللـوـن الأـحـمـر عـلـى خـدـيـ،  
فـرـغـمـ أـنـي سـمـعـتـكـ تـقـولـ «أـحـبـكـ»ـ مـئـاتـ أـلـفـ المـرـاتـ،  
وـرـغـمـ أـنـي أـصـبـحـتـ جـدـةـ وـلـدـيـ حـفـيدـاتـ وـأـحـفـادـ،  
إـلـا أـنـكـ فـي كـلـ مـرـةـ تـقـولـ لـيـ «أـحـبـكـ»ـ،  
يـحـمـرـ فـيـهـا خـدـايـ وـأـسـتـحـبـيـ !

ولأنك اخترتني أماناً لك،  
قل للشروع بأن تستريح،  
فأنت بخير،  
طالما أني معك.

جميعهم يهزؤون بي، كلهم يسخرون مني، لأنني لم أستمع لهم  
عندما أقسموا لي ذات مرة، أنك لن تبقى معي إلى الأبد، وأن هناك  
يوماً سيأتي سترحل فيه عنِّي، جد لنفسك طريقة تخبرهم فيها بأنك  
لم ترحل بإرادتك، أخبرهم بأنك تحبني، وأنك لا تزال تفكري بي،  
قل شيئاً ولو كذباً، لتسكت أفواهـاً كلما أدرت لهم ظهري، سمعتهم  
همساً يهزؤاً بي ويسخروا !

«من يعرف طريقة، أرشو بها ذلك  
الموظف الذي يدعى نسيان  
حتى يؤدي مع الوقت وظيفته بأمانة  
في ذاكرتي وأنساك؟!

ومن في استطاعته أن يقنع عيني بأنها لن تراك؟  
حتى تكف البحث عن ملامحك في وجوه العابرين  
وفي شرود الغرباء !

ومن في استطاعته التحاليل على هذا القلب  
حتى يكف عن النبض كما قرع دف!  
كلما نطق أحدهم اسمًا مثل اسمك،  
ينادي به شخصًا آخر عداك.»

لم أكن أحب أفلام الرعب،  
لكني كنت سأشاهدها معك كثيرًا  
حتى ألقى بنتفسي في حضنك،  
كلما جاءت لقطة مرعبة

ربما لست فتاة صالحة، لكنني أسعى دوماً لاكون كذلك، لا انرك  
صلواتي أبداً، لكنني أقوم بتأخيرها أحياناً، قد تشاهدني أرقص الآن  
على أغنية، وبعد ساعة أشاهد محاضرة دينية، أرتكب أخطاء كثيرة  
لكنني لا أبرر لنفسي وأدرك أنني مخطئة، مشكلتي الوحيدة هي أنني  
أتذكر دوماً أن الله غفور رحيم، وأنسى كثيراً أنه شديد العقاب.

الرجل طفل صغير،  
عندما يشاهد لعبة جديدة،  
يحاول بكل قوته الحصول عليها،  
وكلما كان الوصول إلى تلك اللعبة أصعب،  
كلما أصبحت في عينيه أجمل،  
لكنه ما إن يحصل عليها،  
ويلعب بها ليوم أو ليومين،  
حتى يشعر بالملل منها،  
فيضعلها جانبًا في زاوية الغرفة،  
ويعود إلى لعبته القديمة!

٦

ل عليهما

ملك الدار

اعمل

في الحب ليس شرطا  
أن أراك متلبسا  
بالخيانة لكي أهجرك  
يكفي أن لا أشعر بالأمان معك  
وأعدك بأن لا تراني مرة أخرى

كيف أنساك وكل الأشياء تشير نحوك، مثل طالب في قاعة  
الامتحان، يشير لزميله خلسة نحو الإجابة الصحيحة، إن فكرة  
الحياة من غير ابتسامتك التي كانت تطوقني مثل دعاء أم، باتت  
الآن فكرة مستحيلة، أتعلم؟ إنه أمر يدعو للرثاء، عندما تتلقى خبراً  
سعيداً لكنك، لا تستطيع أن تفرح به لأن الشخص الذي، كان يجعل  
لك الفرح ممكناً، بات الآن بعيداً ..

بالمناسبة أتعلم بأنني  
ما زلت أقفز من مكاني مثل  
سنحاب أليف أفزعني  
طفل مشاغب في حديقة الحيوان  
كلما رأيت شاشة الهاتف تومض،  
تخيل أني ما زلت بعد كل هذه الأعوام،  
أنتظر منك رسالة في آخر الليل،  
تخبرني فيها كعادتك،  
بأنك تحبني كثيراً،  
وبأنني كل أشيائك الجميلة.

لستُ في حاجة  
لأرفع صوتي عليك  
حتى تدرك  
أهمية في حياتك  
يكفي أن  
أغادر حياتك بهدوء  
لأجعل الوقت والتجربة والأيام  
يخبرونك على انفراد  
كم كنت أبلهَا  
لأنك خسرتني

بعد كل علاقة حب كبيرة، توجد هناك علاقة غبية جداً تورط بها مع شخص غريب، ورغم أنه قد يكون شخصاً سيئاً، إلا أنها نواصل معه الطريق: نقترب بصحبته أخطاء لا تمثلنا، نقطع له وعوداً ندرك جيداً أنها لن تنفذها، وحين يتتأكد لنا أن ذلك الشخص وقع في غرامنا، نختلق معه مشكلة تافهة، ثم نهجره ببرود، كما لو أنه منديل متتسخ لم تعد هناك حاجة للاحتفاظ به.

وَيَوْمًا مَا،

ستكتشاف نفسك،

أن الأشخاص السيئين كانوا فيما مضى:

أكثُر النَّاسِ مُرْحَّاً وتسامحاً وطيبةً ومغفرةً،

لكن ثمة شيء ما حدث معهم ذات مرة،

ذلك الشيء أخرج لهم أنياباً ومخالب،

وعلمهم أن لا مكان في الأرض لأهل القلوب الطيبة.

جيمينا مثل الزجاج  
شفافون جداً  
وسريعو الكسر،  
لكن حين يكسرنا  
أحدهم نستحيل إلى:  
شظايا حادة صغيرة تجرح كل يد تمتد نحونا.

إلى رجل مغورو يثير الشفقة  
لا تفسر كل نظرة تأريك من فتاة  
أنها نظرة اعجاب  
فربما كانت تبحث عن زوج حذاء  
يناسب أعمال المنزل الشاقة

قد تحلف المرأة أمام صديقاتها: أنها انتهت أخيراً من حبها القديم، وأنها ألقت به في سلة النفايات، لكن صدقني بمجرد أن يمس الحنين قلبها، ستذهب تلك المرأة من تلقاء نفسها نحو سلة النفايات، لتفتش عن حبها القديم، علها تعثر عليه وتستعيده مرة أخرى.

الكرياء:

أن تردد كلمة «بخير»  
بينما في قلبك ألف خيبة ووجع،  
أن تبتسم في الوقت الذي  
تشتاق فيه إلى سماع صوت أحدهم،  
أن تقول وداعاً للشخص تحبه  
لأنه أخطأ في حق كرامتك،  
أن تجعل من عزة نفسك نقطة،  
يتنهي قبلها أي سطر.

أَنْهَا اتَّهَمَ  
تُكَلِّفَاهُ فَرِسْكَهُ  
عَلَيْهِ وَزْنُهُ

قال: اشتقت إلينك  
قالت: وأنا أيضًا لكتنا افترقا  
قال: ما رأيك أن نلتقي الليلة، ثم ومن أجل  
الكثيرياء ندعى أن لقاءنا كان صدفة

الشّرور التي افترقتها البارحة، والتي لا تزال منهمكاً في صنعها  
اليوم، لن تخفي كما تظن، بل ستعود إليك في المستقبل حين تكمل  
الأرض دورتها الكاملة، لترتضم في وجهك، وتحطّمك نهائاً!

إلى كل أولئك الذين!  
يخطئون في حقنا عمدًا،  
ثم نسامحهم،  
ثم يخطئون في حقنا عمدًا،  
ثم نسامحهم،  
نحن لا نسامحكم من باب الضعف!  
بل من باب الرفق بالحيوان لا أكثر!

كل الذين تحبهم اليوم بصدق،  
سيؤذنك غداً بإخلاص .

حين تكثر أشغالهم فجأة  
وتشعر بأن وجودك بات  
ثقيلاً بينهم، لا تمسك بهم  
بل غادرهم بكرامتك  
قبل أن يدفعوك للمغادرة بدونها

كن وقحاً وسيحترمك الجميع، جرب أن تصبح طيباً ولن يهتم بك أحد، ذلك أن بعضهم يعتقد أن الطيبة التي يعامله الناس بها، تدل على سذاجة وضعف، يبدو أن الحياة لم تخبرهم بعد، بأن لا أحد يصبح أكثر سوءاً وأشد قسوة، من شخص طيب، حاول أحدهم أن يؤذني قلبه!

عندما كنت أغضب منك

كنت أقسم أن لا أسامحك أبداً!

بيد أنك كنت تعود في نهاية اليوم

مثل طفل مرهق!

تبتسم في وجهي ببلادة،

وتقدم لي عذرًا تافهاً لا يُقبل!

كنت أسامحك بلا تردد،

ليس لأنني فتاة طيبة جدًا،

بل لأنك تملك ابتسامة

تكفي أن تكون عذرًا مقنعاً لا يُرفض!

أنا شخص يفقد الذاكرة  
عندما يؤلمه كبرياته  
لذلك لا شأن لي  
بمزاحك المعكر  
ولا بالأشياء السيئة التي  
حدثت معك البارحة  
كن مؤدبًا حين تحدثني  
حتى لا أنساك نهائياً

حتى الوردة التي في طرف بستانك، قد تمتد جذورها إلى ما بعد  
الحائط، للبحث عن قطرة ماء تنقذ بها حياتها، هي لم ترتكب خطأً  
فالذنب ذنبك حين أهملت سقايتها، لذلك لا تبدد مزيداً من الوقت  
لبناء الأسوار، فأسوارك المرتفعة لا تخيفني، ولن تمنع جذوري من  
التمرد بحثاً عن قطرة ماء، كل ما أريده منك هو قليل من الاهتمام،  
وأعدك أن تبقى جميع الأزهار لك، حتى ولو جفت جميع آبارك، أو  
احترق البستان!

الرجال قوامون على النساء تعني:  
أنه القائم على الإنفاق عليها،  
أنه القائم على حمايتها،  
أنه القائم على توفير الأمان لها،  
أنه القائم على حفظها ورعايتها،  
وليس القوامة تعني رفع الصوت والتأمر،  
كما كانوا يخدعوننا.

يَتَعْدُونَ وَحِينَ نَعْتَادُ رَحِيلَهُمْ،  
وَتَصْبِحُ حَيَاةُنَا فِي غِيَابِهِمْ أَجْمَلُ،  
بَطَالُونَا بِالْعُودَةِ،  
مَهْهَ كَمْ هَذَا مَضْحُوكٌ جَدًّا.

قال :

حَبِيبِيَ الَّتِي لَمْ تَأْتِي بَعْدَ  
أَعِذْكَ مِنْ شَرِّ الْغَيَابِ  
قَبْلَ أَنْ تَأْتِي  
حَبِيبِيَ الَّتِي لَمْ تَأْتِي بَعْدَ  
حِينَ تَأْتِي لَا تَرْحَلِي

في بلاد الشرق: يقترف الناس الحُب ليلاً، وفي الصباح يستعذلون  
بالله منه، لا أعلم من كذب عليهم، وأخبرهم بأن الحب جرم تعاقب  
عليه أنظمة الدولة، وأن مرتکبه يُلاحق من رجال المباحث، وأجهزة  
الشرطة، في بلاد الشرق ما زال أبو لهب حيّاً يرزق، علمهم أن المرأة  
لا خطأ لها يغفر، وأن الرجل مغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر!

يا رب علم رجال الشرق:

أن الحب ليس عيباً أنه ليس ذنب

يا رب علم رجال الشرق:

أن المرأة ليست عاراً، بل إنها شرف وفخر.

إلى الرجال الذين يفخرون بخيانتهم،  
بلقي إبليس عليكم التحية، ويخبركم بأنه فخور بكم جداً.

بعد الزواج  
يصاب بعض الرجال  
 بشيء من العمى أو الحول  
 لذلك يخونوا زوجاتهم  
 مع فتيات قبيحات جداً

احذر شخصاً تحبه، ويخبرك بأنه لا يريد منك أن تغار، لأن  
الشخص اللعوب وحده من يخاف الغيرة، ويحاول إقناعك على  
الدوام، بأنها مرض يجب عليك علاجه!

أحياناً أتمنى لو أني أصبح ساحرة،  
أحولك بعصاتي السحرية إلى ضفدع أخضر،  
أحبسك في قنية زجاجية ضد الكسر والرصاص،  
وأضعك بجوار عطوري ومستحضراتي التجميلية،  
لا تقلق ..

ستزورك ساحرتك في كل مساء،  
لتأخذك إلى نزهة قصيرة،  
لا تبتسم للغرباء!  
حتى لا تخلع لك أسنانك الجميلة،  
لاتلتفت يميناً أو شمالاً!

حتى لا تقلع لك عينيك البريئة،

فحبستك طفلاً حين تغار

تصبح شيطانة رجيمة!

عندما أكون غاضبة منك ثم  
أخبرك بأنني سأخلد إلى النوم  
هذا لا يعني أنني أريدك أن  
تتنمّى لي نوماً طيباً  
بل هي دعوة مشفرة  
أرسلها لك تعني: صالحني الآن

شيء مؤلم أن تهبط الطائرة، ويسارع الجميع إلى فتح هواتفهم  
لتلقي المكالمات، بينما أنت لا أحد يهتم لأمرك، شيء مؤلم أن  
تملك وقت فراغ طويل، لكنك تقضيه بعزلة، لأن لا أحد يهتم  
لأمرك، شيء مؤلم أن يمضي عليك عيد الميلاد وحيداً، لأن لا أحد  
يهتم لأمرك.

شيء مؤلم أن يذيع الراديو أغنية جميلة لكنك لا تملك شخصاً  
تهديها إليه، أن ينقل أحدهم إليك خبراً ساراً، لكنك لا تملك  
شخصاً ترکض نحوه لتعانقه، أن ترهقك الأيام كثيراً لكنك لا تجد  
كتفاً تسند إليه رأسك، أن تخلد للنوم ليلاً دون أن يهمس أحد في  
أذنك: «تغط باللحاف جيداً»

ثُمَّ التقيا بعْدَ أَعوامٍ طويلاً،  
صُدفةً في أحد مطاعم المدينة،  
ورغم أن كُلَّاً منهما بات لديه أبناء وبنات،  
إلا أنها كانت لا تزال تراه طفلاً في عينيها،  
وكان هو لا يزال يراها تلك الصبيحة الصغيرة،  
قال لها في قلبه :  
«أنت كل أشيائي الجميلة»  
همست له في قلبها قبل أن تهروء مبتعدة:  
«وأنت أيضاً كل أشيائي الجميلة».

أينما كنت الآن قل أحبك وأعدك أن أسمعها  
فأينما تكون أيها الإنسان، كلام الحب دائمًا يصل

ومازلت أحزن كثيراً على أولئك الذين يتمسكون بشخص سعي،  
معتقدين أن الوقت كفيل بإصلاحه، من أساء إليك فارحل عنه، ولا  
تلتفت إليه، وتذكر أن الله لن ينساك، وأنه سيضع لك في قارعة  
الطريق يوماً، سعادة تنسيك كل شيء آلم قلبك المسكين.

يقل اهتمامه فجأة؟  
تأكدني أن في الأمر فتاة

هل أخبرك بما سيحدث لك؟  
سيهجرك عما قريب

هل أخبرك بما سيحدث له؟  
سيعود إليك حين تهجره تلك الفتاة.

هل أخبرك بما يجب عليك أن تفعليه؟  
احتفظي دوماً بقنانى العطر الفارغة،  
لتحطمي بها رأسه حين يعود إليك  
طالباً منك المغفرة والسامح.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ  
مَا أَعْشَى وَمَا أَنْتَ مَعَنِّي

تَبَّاً مَا هَذَا

إِذَا كُنْتُمْ جَمِيعَكُمْ مُسَاكِينٍ وَأَوْفِيَاءٍ  
فَأَيْنَ هُمُ الْخُونَةُ وَالْأَشْرَارُ إِذَا؟!

ذات يوم جئني ضعيفاً قلت لي بأنهم آذوا قلبك المسكين، حينها  
تركت كل شيء في يدي، وبقيت معك حتى رأيتك تبتسم وتقف على  
قدميك من جديد، وعندما جئتك لاحقاً أخبرك بأنك وجميع الأشياء  
الباقية تؤذون قلبي المسكين: ابتسمت في وجهي ثم رحلت عني  
بعيداً. أتعلم ؟! منذ ذلك اليوم، وإلى هذه اللحظة، لا زلت أجهر  
الذنب الذي اقترفته في حياتي، حتى يعاقبني الله بشخص مثلك !

الخيانة لا تؤذني أحداً،  
وغالباً ليست الخيانة ما تبكينا،  
بل ذلك الأمان الذي يغادرنا،  
وتلك الثقة التي نفقدها حتى في أنفسنا،  
هناك نوع من الأشياء  
لا يعود إلى حالته القديمة بعد أن يتحطم،  
هناك نوع من الأشياء  
لا ينفع معه الاعتذار أو الندم..

لبيهم أدركوا ذلك قبل أن  
 يجعلوا الاختيار علينا صعباً،  
 فأسوأ قرار قد نختاره يوماً هو  
 الرحيل عن شخص أحبناه،  
 لأننا أصبحنا ناضجين بما فيه الكفاية لندرك  
 أن الحب وحده، ليس سبباً كافياً للبقاء!

عذراً ولكن  
أن تخدعني لا يعني أنك  
شخص ذكي جداً  
بل ربما يعني أنه  
ينقصني الكثير من الخبرة  
حتى لا يتمكن معتوه مثلك  
من خداعي مرة أخرى

أخبرهم أن مكانك ليس هنا عندما تشعر فعلاً بأنك خلقت لشيء آخر، أرجوك لا ترَضِ بأن تكون أقل من ذلك الشيء الذي لطالما كنت تحلم به كل يوم، وتذكر أنك لا تعيش داخل شريط فيديو حيث في استطاعتك أن تبدأ من جديد في كل مرة، فالعمر أقصر بكثير مما تظن، كن ما تريده الآن أو صدقني لن تكون أبداً.

أعلن مسؤوليتي عن كل ما أقوله لك،  
ولست مسؤولة عن أي تفسير،  
قد يخبرك به عقلك المريض جداً،  
لهذا عندما تخيل أني أسأت لك،  
تخيل أيضاً أني تأسفت منك،  
فهذا أفضل بكثير،  
من انتظار عذر لن أقوله أبداً.

و لأنهم خذلوك يا قلبي  
فإنك لن تشق بأحد  
وستظل طويلاً تعادي  
كل من يحاول الاقتراب منك

يحدث معي كثيراً:

أن أستيقظ في منتصف الليل، أبحث عن هاتفي في ظلام الغرفة،  
أفتح بعين مغلقة، وأخرى نصف مفتوحة، عن رسالة منك تخبرني  
فيها، بأنك عدت من جديد، وأنك لن تتركني هذه المرة أبداً.

لا شيء أشد رعباً

من أن تحرق جميع أحلامك،

وأنت لا تملك وسط ذلك الدخان

إلا أن تتظاهر بأن لا شيء يحدث.

ولا شيء أقسى على قلبك

من أن يجبرك الكبرياء على الضحك،

في الوقت الذي تشعر فيه برغبة قاتلة في البكاء.

عن

بلد

مكذا

عندما أقرر الانتقام منك لن أوذيك،  
بل سأعاملك بحب مبالغ به ثم أهجرك  
هكذا فقط أضمن أن يمتد عذابك طويلاً.

إن منظري الأنيد جدًا، وهذه الابتسامة التي لا تفارق وجهي،  
وذلك النكبات التي قد ألقى بها من وقت إلى آخر، وجميع الأشياء التي  
تراها وتحمي لك أني بخير، كل ذلك ليس إلا خدعة، حاول أن لا  
تدعها تنطلي عليك لو أنها التقينا في مكان صدفة، فنحن النساء لا  
نثرثث كثيراً، ولا نضحك بأصوات مرتفعة، ولا نتألق بشكل مبالغ به،  
إلا لنصرف أنظار المتطفلين عن جروح تنزف في داخلنا.

عندما يصرخ رجل في وجه فتاة ثم لا يراها تبكي،  
قد يعتقد أنها لم تتأثر كثيراً بالصرارخ،  
 وأنها فتاة قوية، لا تعترف بالبكاء،  
لكن صدقني هي تبكي وبشدة  
لكن في الظلم!  
ليس لشيء عدا أن الأنثى  
منذ فجر التاريخ،  
عرفت بالكرياء!

أَخْرَجَهُ الْمَهْرَجَ  
مِنْ إِلَّا حَمْدَهُ  
مَا نَحْنُ بِحَمْدِهِ  
وَلَا نَنْسِي  
تَنْزِفُ فِي دَرَّ

لَا يَرَاهَا نَبَرٌ

أعترف لك بأني  
أشعر بخيالية أمل كبيرة  
حين أراك تبتسم  
ونحن في حالة فراق  
ليس حقداً  
بل فقط لأنني  
لم أكن أتخيل  
بأن في مقدورك أن  
تكون سعيداً من دوني

هل حدث لك ذات مرة أن استيقظ لشيء لم يحدث معك أبداً؟!  
أو أنك شعرت بالحنين إلى أشياء لم تقع معك إلا في خيالك  
الواسع؟!

يحدث معي دوماً أن أستيقظ لمotelنا الذي حلمنا دوماً بامتلاكه،  
وإلى عقد نكاح كانت أكبر أمنياتي أن يضم اسمي واسمك، وإلى  
سيارة قديمة تأخذني بها بعيداً عند نهاية كل أسبوع، ثم ولأنك  
لا تملك مالاً كثيراً، نكتفي بمشاهدة البضائع من خلف زجاج  
المحلات التجارية، وحين تعتقد أني حزينة لأن ظروفك لا تسمح  
لكل بأن تشتري لي أسورة ذهب جميلة، أهمس لك في أذنك:

«لا بأس أنت كل أشيائي الجميلة»

أستيقظ إلى مقعدين في طائرة تسافر بنا نحو مدينة لا نعرف أحداً  
فيها، وإلى سيارة أجرة يثرثر سائقها معنا بينما لا نصغي إلى أحاديثه،  
ليس لأننا لا نفهم لغته العربية المكسرة، بل لأننا منشغلان في المقعد  
الخلفي بتبادل الكلمات والقبل..

أشتاق إلى نزهة معك أمام بحيرة صغيرة، وإلى مطر يهطل فجأة  
 علينا وإلى شجرة ضخمة نركض نحوها كفارين مذعورين نختبئ  
 نختبئ ريثما يخف المطر !

أشتاق إلى وجبة طعام أعدها لك، وحين تنتهي منها تخبرني بأنها  
 كانت لذيدة ..

وعندما أستعد لتناول طعامي تأخذ الطبق من أمامي وتأكله على  
 عجل، حتى لا أكتشف أن الطعام الذي أعددته كان سيئ المذاق،  
 لأنه فاتني أن أضيف عليه الملح.

أشتاق كثيراً لأبنائنا الذين أنجبتهم منك في أحلامي،  
 إنهم طفلان وطفلة يشبهونك في كل شيء إلا في عينيك،  
 فعيناك ليس لها مثيل في هذا العالم كله،  
 ليس لأنهما رائعتان جداً،  
 بل لأن فتاة مثلي كانت تسكن فيهما يوماً!

«الحكاية الأخيرة، للفتاة التي  
ينتهي اسمها بتاء مربوطة»

بعض الصداقات نعمة  
والبعض الآخر تكفير ذنب

في إنجيل الهوى، قبل مئات ألوف الأعوام، كتب أحدهم هذه  
الجملة ثم اختفى:  
«في دين العشق لا يجوز الفراق»

١

## «هاجر»

الثلاثاء،

٤٧: فجرًا،

بعد انتهاءي من الكتابة»

بعد انتهاءي من الكتابة خبأت حزمة الورق داخل أحد الأدراج:

- نوما هنيئا - همست لها قبل أن أغلق عليها الدرج -

أغلقت الستائر، أطفأت المصايبع، ثم انزلقت تحت اللحاف،  
وقبل أن أغط في نوم عميق، تمنيت لو أن أحدهم يهمس في أذني:

«تصبحين على خير»

ثم فكرت قليلاً:

إن كنت تملك شخصاً يتمنى لك قبل النوم أن تصبح على خير،  
فأنت شخص محظوظ جداً، إن كنت تملك شخصاً يبدي استعداداً  
لسماع ثرثراتك الفارغة لساعات طويلة دون أن يقاطعك أو يشعر  
بالملل منك فأنت شخص محظوظ جداً، إن كنت تملك شخصاً  
يمكنك الاتصال به في أي وقت دون أن تفكر كثيراً فيما إذا كان  
مشغولاً أم لا، فأنت شخص محظوظ جداً، وهذه الأشياء الصغيرة  
لا أحد غالباً يعيّرها انتباها، إلا حين يفقدها، وهذا أمر سيء جداً!

أغمضت عيني، رأيتك في السواد، ونمت.

\*\*\*\*

الثلاثاء،

١٠:٣ صباحاً،

«ثلاث مكالمات فائتة»

على شاشة الهاتف عندما استيقظت:

كانت الساعة العاشرة صباحاً، وكانت هناك الإشعارات التالية:

«ثلاث مكالمات فائتة، ورسالة إنذار بقطع الخدمة إن لم أسارع  
بتسديد الفاتورة»

كان المتصل شخصاً قريباً إلى قلبي، إنها هاجر: تلك الطالبة  
التي التقى بها في السنة التحضيرية الأولى، عندما كنت أدرس في  
جامعة الملك عبد العزيز بجدة، والتي أصبحت لاحقاً أفضل صديقة  
في حياتي، وبالمناسبة: هي الشيء الوحيد المهم الذي استفدت منه  
خلال دراستي في الجامعة.

ليستي أعود للزمن الذي كنت لا أعرفك فيه:

كنت حينها فتاة لا تعرف الحب لذلك كنت فتاة سعيدة، لا أحمل  
هذا، ولا أفك في أحد، أنام في الوقت الذي يهجم فيه النوم علىي،

ووعندما أستيقظ لا أسارع في إمساك هاتفي لأبحث فيه عن رسالة منك أو اتصال، كما لو أنني شخص يعاني من إدمان حاد، يفتش في كل لحظة عن جرعة يهدئ بها أعصابه.

\*\*\*\*

دعني أقص عليك قصتي مع هاجر:

«ثمانية سنوات تقريرًا إلى الوراء

جامعة الملك عبد العزيز

محاضرة الكيمياء

خطبة باء»

- هل هذا المقعد محجوز لو سمحت؟!

سألتني إحدى الطالبات بصوت منخفض، وهي تشير بإصبعها نحو المقعد المجاور لمكان جلوسي، ولأنني لم أكن أحب التحدث إلى الغرباء، حتى ولو كان سؤالهم عاديًّا، فقد اكتفيت بتحريك رأسي بإشارة تعني «لا» من غير أن أفتح فمي.

- شكرًا - قالت ذلك وهي تجلس فوق الكرسي.

حركت رأسها لها بإشارة تعني «عفواً»، وجعلت أحراول التركيز مع ما تقوله الأستاذة التي كانت تثرثر طويلاً دون أن يفهم أحد شيئاً منها.

بعد قليل من الوقت التفت نحوي تلك الطالبة وهمست:

- لو سمحتِ

لم ألتftt نحوها لسبعين: الأول هو لأنني كما قلت لا أحب التحدث إلى الغرباء، والسبب الثاني هو لأنني لم أكن أريد الخروج مطرودة من القاعة، فهذه الأستاذة تعشق طرد الطالبات من الصف، كما لو أنها كانت تحلم منذ الصغر، أن تصبح في المستقبل حكم مباراة، يقوم بطرد اللاعبين على أقل خطأ يقترفونه!

- لو سمحتِ - كررت الطالبة بصوت منخفض -

ولأنني لم ألتftt لها للمرة الثانية وبقيت أحراول التركيز مع ما تقوله الأستاذة، قالت:

- هل أنتِ بكماء؟

حركت رأسي نحوها: ماذا؟

- أوه جيد في استطاعتك التحدث، اسمي هاجر وأنتِ؟! - قالت  
ذلك وهي تمد يدها لتصافحني -

- هل هذا مكان مناسب للتعارف برأيك؟! - سألتها من غير أن  
أصافحها -

سحبت الطالبة يدها المعلقة في الهواء وبررت:

- لا، ولكنني أشعر بقليل من الضيق، وأرغب في التحدث  
كنت سأقول «وما شأنني أنا» لكن الأستاذة صرخت وهي تنظر  
نحونا:

- أنتما هناك، أكملأ حديثكم خارج الصف!

ولأنني لم أكن أريد الرسوب في المادة، لم أعتراض على قرار  
الطرد، وكل ما فعلته في ذلك الوقت هو أنني دفعت بجسمي إلى  
الخارج وأنا أحاول قدر الإمكان أن أمسك دموعي لكي لا تسقط  
 أمام بقية الطالبات.

وَحِينْ أَصْبَحْنَا فِي الْمُمْرِ:

- أشعر بالجوع - صرحت تلك الطالبة - توجد كافتيريا رائعة  
بالقرب من هذا المبني ما رأيك في الذهاب إليها؟!

لم أصدق ما سمعته للتو لذلك انفجرت في وجهها:

- أنا مطرودة بسببك، وأنت بكل بروء تقرحين علي الذهاب  
معك إلى الكافيتيريا؟!

حكت رأسها كما لو أنها لم تجد سبباً لغضبي:

- هيا بربك، سأدفع عنك قيمة الفطور، لو أنك ذهبت معي!

صرخت:

- لم يسبق لأي معلمة أن طردتني من قبل، وأنت بكل بروء  
تتحدىين كما لو أنك لست السبب في خروجي مط ..

في هذه اللحظة بالضبط فتح أحدهم باب صف الكيمياء:

- أنتما هناك ما هذا الإزعاج هاه؟!

سألت الأستاذة بغضب وهي تنظر نحونا من فوق إطار النظارة.

ثم ولأنه كان من الواضح لها، أنه أنا التي كانت تصرخ في ذلك الوقت، فقد قررت الأستاذة معاقبتي، فسمحت للطالبة بأن تعود إلى مقعدها، أما أنا فسأبقى مطرودة، لأنني مزعجة وهمجية على حد قولها.

- لن أدخل - قالت الطالبة - سأبقى مع صديقتي هنا

ارتفع الدم إلى وجه الأستاذة، بسبب الإحراج الذي تعرضت له، ثم ولكي تحافظ على ما تبقى لها من كرامة أمام بقية الطالبات، قالت بصوت هادئ وهي تنظر باتجاه الطالبة:

- حسناً كما تشاءين ابقي في الخارج، أما صديقتك فسأسمح لها بالدخول.

نظرت الأستاذة باتجاهي:

- تستطيعين العودة إلى مقعدك.

في الحقيقة كنت مترددة: أريد الدخول، وفي الوقت ذاته لا أريد أن أتخلّى عن هذه الطالبة غريبة الأطوار، فمع أنها السبب في طردي، إلا أنها فعلت للتو شيئاً لطيفاً معي، ف فهي لم تخلّ عنّي رغم علمها بأن موقفها ذاك سيكون سبباً في رسوبها بالمادة.

كنت سأقول للأستاذة بأنني لن أدخل، لكن الطالبة همست لي من ورائها: «ادخلني»

ولأننا في بعض الأحيان، نحتاج إلى كلمة من شأنها أن تسكت ضمائرنا لاحقاً، فقد تشبت بكلمتها حين قالت لي «ادخلني»، وسرت نحو الصف..

لكن مع كل خطوة كنت أخطوها كنت أعرف في قراره نفسي بأنني سأندم لاحقاً، لو أني تخلّيت عنها، لذلك توقفت فجأة ثم نظرت إلى الخلف نحو الطالبة:

- قلت إن اسمك هاجر صحيح؟!

- صحيح

- هل أنت واثقة من أنها كافتيريا رائعة؟!

- نعم واثقة!

التفت نحو الأستاذة وقلت:

- وأنا أيضاً لن أدخل.

ومنذ ذلك الوقت أصبحنا صديقتين مقربتين جداً، أما تلك المادة  
فليس مهمّاً أن أذكر لك ما حدث لنا فيها، فمن المؤكد أنك فهمت  
من تلقاء نفسك أننا أعدنا حملها للترم القادم!

جميع مشاكل المرأة تكمن في أنها لا تجد من يصغي إليها!  
لو وجدت المرأة من يستمع لها لانتهت إذاً جميع مشاكلها.

## «فرصة لأراك من بعيد»

اليوم التالي،

الأربعاء،

٩:٥٩ مساءً،

«رنين»

رحت أركض خلف رنين الهاتف ..

«هاجر» هذا ما كان مكتوبًا على الشاشة

ما كدت أفتح الخط، حتى جاءني صوتها غاضبًا:

- اتصلتُ عليكِ البارحة ثلاثة مرات لماذا لم تجيبني؟!

- أوه آسفه، كنت نائمة حين اتصلتِ، ونسيت أن..

- بربك ما الذي جرى - قاطعني - هل حدث لك سوء؟!

هاجر: هي الشخص الوحيد الذي في إمكانه التعرف على حالي  
النفسية من خلال صوتي، وهي الشخص الوحيد أيضاً الذي لم أكن  
لأخفي عليه سرّاً من أسراري، وبالمقابلة هي تعرف قصتي معك،  
وهي أيضاً من كان يقف إلى جنبي في تلك الأوقات التي كنت  
أحتاج إليك فيها كثيراً!

- قصة غريبة وقعت معي البارحة عندما كنت في المكتبة، لن  
تصدقها عندما أرويها لك!

- تكلمي أسمعك، ماذا حدث؟!

ولأن هناك أشياء تفقد لذتها حين نرويها عبر الهاتف، قررت أنني  
سأخبرها حين ألتقي بها:

- سأخبرك حين نلتقي - ثم انتقلت سريعاً إلى موضوع آخر حتى  
لا تصير فأخبرها بالقصة رغمما عن أنفي - ماذا كنت تريدين  
حين اتصلت البارحة ثلاثة مرات؟!

- آه نعم، سأذهب غداً إلى معرض الكتاب، وبما أنك أصبحت  
تحبين قراءة الكتب، فكرت في أنك ستكونين سعيدة لو أني  
عرضت عليكِ المجيء معنا ما رأيك؟!

ضحكـت كثيراً حين سمعـت هذا الاقتراح، لأن آخر شخص في  
الـلـدـنـيـاـ أـتـخـيـلـهـ يـحـمـلـ كـتـابـاـ فـيـ يـدـهـ هـوـ هـاجـرـ:

- ولـمـاـ تـرـيـدـيـنـ الـذـهـابـ إـلـىـ هـنـاكـ؟!

- أـوـهـ لـاـ، لـيـسـ أـنـاـ مـنـ يـرـيدـ الـذـهـابـ، إـنـهـ أـسـيلـ.

- وـمـنـذـ مـتـىـ تـهـتـمـ أـخـتـكـ الصـغـرـىـ بـالـكـتـبـ؟!

- أـسـيلـ لـاـ تـرـيـدـ شـرـاءـ الـكـتـبـ التـيـ تـقـرـئـنـهـاـ أـقـصـدـ الرـوـاـيـاتـ، فـهـيـ  
ليـسـ مـعـقـدـةـ نـفـسـيـاـ اـطـمـئـنـيـ، كـلـ مـاـ فـيـ الـأـمـرـ أـنـهـ التـحـفـتـ  
مـؤـخـراـ بـأـحـدـ أـقـسـامـ التـصـمـيمـ فـيـ الجـامـعـةـ، وـتـرـيـدـ الـذـهـابـ غـدـاـ  
لـشـرـاءـ بـعـضـ كـتـبـ التـخـصـصـ وـالـتـيـ لـنـ تـجـدـهـ إـلـاـ هـنـاكـ عـلـىـ  
حـدـ قـوـلـهـاـ!

- أـخـبـرـتـكـ أـلـفـ مـرـةـ أـنـ مـنـ يـشـتـرـونـ الرـوـاـيـاتـ لـيـسـواـ مـعـقـدـيـنـ نـفـسـيـاـ  
هـاجـرـ!

- أـمـزـحـ مـعـكـ، بـرـبـكـ أـلـمـ تـعـتـادـيـ عـلـىـ سـخـافـاتـيـ، هـاهـ مـاـذـاـ تـقـولـينـ  
هـلـ سـتـرـاـفـقـيـتـنـاـ غـدـاـ؟!

ثم أضافت: «قولي نعم أرجوك».

- سأفكر في الأمر، في أي ساعة سنذهب لو أني وافقت؟!

- سأصطحبك عند الخامسة.

\*\*\*\*

وضعت الهاتف جانباً، وعندما نظرت إلى الخلف كانت صورتك على الغلاف تحدق فيّ، كما لو أنها تريد أن تقول لي شيئاً، ورغم أنني متأكدة من أنني كنت قد وضعت كتابك داخل حقيبة يدي عندما انتهيت من قراءته، إلا أنني لم أفك كثيراً بالطريقة التي تمكنت فيها الكتاب من الخروج من داخل الحقيبة.

أمسكت الهاتف فوراً وعاودت الاتصال بهاجر:

- موافقة سأتلي معكم.

- لماذا كل هذا الحماس في صوتك؟!

مضفت ريقاً، لم أعرف كيف أبهر لها حماسي، لن أكذب لأنها ستكتشف الكذبة حتماً:

- هذه أيضاً سأخبرك بها حين ألتقي بك.

\*\*\*\*

أيها الكاتب:

لست متيقنة مما إذا كنت سوف أراك غداً في معرض الكتاب أم لا، لكن سأفتشر عنك هناك، فهذا المكان الوحيد الذي يتحمل أن أثر عليك فيه.

فررت أني سأعيد الكتابة من جديد، سأكتب لك منذ اللحظة التي عثرت فيها على كتابك، وإلى اللحظة التي طلبت مني هاجر فيها أن أرافقها إلى معرض الكتاب، وفي حال استلمت أوراقي، أريدك أن تمزقها أو أن تجعلها طعاماً للنار، بعد أن تنتهي من قراءتها!

وهكذا سحت أوراقاً جديدة، ثم فكرت قليلاً وكتبت:

«لم أكن حينها أفكر بشيء إلا بك كعادتي، عندما كنت أتجول وحيدة في أروقة إحدى المكتبات، أفتشر عن كتاب جيد يشعرني بالأمان في هذه الغربة».

لا.. لم أغادر البلاد، لكن ثمة وطن كبير غادرني فأنت لم تكون لي حبيباً فقط، بل كنت وطناً كبيراً يتسمى عالمي الأعظم إلى خلايا ضلعه الأعوج.

قبل أن نفترق لم أكن أحب القراءة أتذكرة؟!

لكني أصبحت أحبها كثيراً، لأنها شيء الوحيدة التي بات يذكر  
بك، والمكان السري الذي أستطيع أن أقابلك فيه، والزمان العكسي  
الذي يعيدني إليك...».

نَدِمَ الْ

لِهِبَّ

٤٠٦

بِالظُّرُفِ

بِرِيلِكِ

سَلْتِي

سَرَّةِ سَا

كَبَّةِ لِلْ

نَبِيِّ الْحَ

لِلَّذِلِكِ

سَلَخِ

الإِنْسَانُ مُخْلُقٌ وَهُمْيٌ، حَتَّى إِذَا وَقَعَ فِي الْحُبِّ أَصْبَحَ حَقِيقَيًا

«آتية إليك .. فكن هناك من أجلِي»

اليوم التالي،

الخميس،

٤:٥٥ مساءً،

«بالطريق نحو المعرض ..»

تفقباً

- بربك ما كل هذه الأوراق التي جلبتها معك؟!

سألتني هاجر، حين جلست إلى جوارها في المقعد الخلفي لسيارة سائقها الخاص، لم أكن بعد قد أخبرتها عما حدث لي في المكتبة، لذلك أبدت استغراباً حين رأته أحمل في يدي الأوراق.

في الحقيقة كنت سأخبرها في السيارة لو لم تكن أختها الصغرى معنا، لذلك همست في أذنها:

- سأخبركِ حين نصل!

ثُمَّ أَخْبَرْتَهُمَا بِأَنَّ عَائِلَتِي سَوْفَ يَقُومُونَ بِالاتِّحَادِ بَنَا إِلَى هُنَاكَ،  
وَنَقْلَتِ إِلَيْهِمَا رَغْبَةً وَالَّذِي فِي أَنْ تَنْضِمَ إِلَيْنَا بَعْدَ الْمَعْرُوضِ لِتَنَاوِلِ  
وَجْهَةِ الْعَشَاءِ، فَوَافَقْتَا عَلَى ذَلِكَ.

\*\*\*\*\*

طَوَالَ الطَّرِيقَ كَانَ قَلْبِي يَنْبَضُ بِقُوَّةٍ، كَمَا لَوْ أَنَّ حَصَانَ يَنْدِفعُ نَحْوِ  
مَعرِكَةٍ، لَمْ أَكُنْ أَعْرِفَ كَيْفَ سَأُعْطِيكَ الْأَوْرَاقَ، لَكِنْ مَا أَعْلَمُهُ جَيْدًا  
هُوَ أَنِّي لَنْ أَسْتَطِعَ الاقْتِرَابَ مِنْكَ، لَأَنَّ عَيْنِيْكَ بَحْرٌ وَلَأَنَّ الْبَحْرَ  
غَدَارٌ، وَلَأَنِّي لَا أَعْرِفُ السَّبَاحَةَ، وَلَمْ أَكُنْ أَمْلِكَ زُورَقًا، وَلَيْسَ عَنِّي  
طَوْرُ نِجَاهَةَ.

\*\*\*\*\*

حِينَ وَصَلَنَا إِلَى مَعْرُوضِ الْكِتَابِ:

ذَهَبَتِ أَخْتِ هَاجِر الصَّغِيرِيِّ أَسِيلُ، لِلبحثِ عَنْ كِتَابِ التَّخْصِيصِ  
الَّتِي تَرَغَبُ فِي شَرَائِهَا، بَيْنَمَا أَمْسَكْتُنِي هَاجِرُ مِنْ يَدِيِّ، وَأَجْلَسْتَنِي  
بِالْقُوَّةِ فَوْقَ أَحَدِ الْكَرَاسِيِّ، وَرَاحَتْ تَجْلِسُ أَمَامِي كَمَا لَوْ أَنَّهَا مَحْقَقٌ  
فِي الْاَدْعَاءِ الْعَامِ يَحْقُقُ فِي قَضِيَّةِ فَسَادٍ كَبِيرٍ.

ضربت بيدها على الطاولة الدائرية الصغيرة التي كانت تفصل

- بربك، لماذا كل هذا الارتباك في وجهك؟!

- إنه هو - ثم قلت اسمك وبكيت -

اعتدلت هاجر في جلستها، وبدأت تأخذ الموضوع بجدية أكبر:

- ما به؟! - ثم أضافت - لقد أصبحت في مرحلة أخرى الآن، ومن المفترض أنك قد تجاوزته لماذا تتذكرينه الآن؟!

أخرجت لها كتابك من حقيبة يدي، وأشارت بإصبعي نحو وجهك:

- انظري!

ثم أخبرتها بكل شيء: قلت لها إنك بعثت لي برسالة، تخبرني فيها بأنك لا تزال تحبني وأنك تأسفت لي فيها عن خطأك حين سمحت للفراق بأن يشق له طريقاً بيننا.. أخبرتها بأنه على الرغم من أنك لا تحب المؤلفين الذين يضعون صورهم على أغلفة كتبهم، إلا أنك قمت بوضع صورتك على غلاف كتابك؛ لكي تُسهل عليّ أمر العثور عليه.

ثم قلت لها ما أنوي القيام به:

- الأوراق التي أحملها معي، هي رسائل كتبتها له، أريد منه أن يقرأها، لذلك تحمسـت للمجيء معك إلى هنا!

- هل أخبرـه في الرسائل عن كل شيء حـدث معك بعد انفصالـكم؟!

- لا، اطمئـني لم أخبرـه، فمن الأفضل أن لا يعرف!  
- هاتـي الأوراق!

كـنت أخـشـي أن تقوم هـاجر بـتمـزيـقـها:

- ماذا سـتفـعـلـين بها؟!

- سـأـقـرـؤـها فـقـطـ!

أخذـت هـاجر الأوراق من يـدي، وراحت تـقـرـؤـها بـتوـترـ واضحـ على وجهـها، وحين انتهـت من قـراءـتها التـي استـغرـقت ساعـةـ كاملـةـ، وضعـت الأوراق على الطـاـولةـ، وصـمـتـ.

\*\*\*\*\*

أقسـمـ لكـ إـنـيـ فيـ ذـلـكـ الـوقـتـ كـنـتـ ضـعـيفـةـ جـداـ، مـثـلـ حـشـرةـ

نحضر، وتمنى من الله أن يهبط عليها حداه ليحطمها ويخلصها من هذا العذاب، ولو أن هاجر قامت بتمزيق حزمة الأوراق أمامي في تلك اللحظة، وأمرتني بالعودة إلى البيت، لكنني قد نفذت أمرها من غير اعتراض، لكنها لم تتكلّم، وبقيت تحدق في حزمة الأوراق صامتة لفترة طويلة.

- حسناً يجب أن تقولي شيئاً - قلت ذلك خائفة وأنا أنظر إليها -  
لκنها لم تحدث أيضاً وظلت صامتة كما لو أنها تفكـر في أمر ما،  
وـحين طـال صـمتـها أـكـثـر قـلت:

- أعلم أنـي استغرقت وقتاً طـويـلاً حتى أنسـاه - ثم مددـت يـدي  
وسـحبـت حـزمـة الأـورـاق من فوق الطـاـولة - أـعـتـقـدـ أـنـيـ كـنـتـ  
مـخـطـئـةـ حين فـكـرـتـ بـالـكـتـابـةـ إـلـيـهـ،ـ كـانـ يـجـبـ عـلـيـ أـنـ لاـ أـضـعـفـ،ـ  
سـأـمـزـقـ الـأـورـاقـ حين نـعـودـ إـلـىـ الـبـيـتـ،ـ وـلنـ أـفـكـرـ فـيـ الـأـمـرـ مـرـةـ  
أـخـرىـ أـعـدـكـ!

- لا - قـالتـ هـاجـرـ - لـنـ يـحـدـثـ هـذـاـ،ـ بـلـ سـتـعـطـيـنـهـ الـأـورـاقـ.

كـنـتـ أـعـتـقـدـ أـنـهـاـ تـهـزـأـ بـيـ،ـ أـوـ تـضـعـنـيـ فـيـ مـوـقـعـ الـاخـتـبـارـ لـتـحـقـقـ مـاـ

إذا كنت صادقة فيما أقوله لها، أم أنني أكذب عليها، لذلك تمسكت

برأيي:

- لا لا، إنها فكرة سيئة مثلما قلت لك، سأمزقها حين أعود إلى  
البيت!

- اسمعي - قالت هاجر بجدية - إنه الآن كاتب، اكتب لي له واطلبني  
منه أن ينشر كتاباتك اجعليه يصفع كل رجل عبث يوماً في قلب  
فتاة، دعوه يتقم لك ولدي، ولجميع النساء.

- لكن كتاباتي سيئة ولا أعتقد أن ..

- سيرصرف - قاطعتني هاجر - إنه كاتب وسيجيد التصرف،  
هيا ليس هناك وقت إضافي للتردد، لا تخافي سيوضع هو اسمه  
عليها، ولن يعرف أحد من عائلتك أنك من قام بكتابتها!

\*\*\*\*\*

لنسك

أعود إلى

لهواطلي

نافي قلب

النصرف،

هواسه،

نها!

لم أكن أعرف إن كانت محققة فيما تقوله أم لا، هل كان رأيها  
مواباً، أم أنه لن يساعد إلا في نزف مزيد من الجراح، لكن كما قلت  
لك، كنت حينها ضعيفة، ولا أعرف ماذا أفعل:

- حسناً أريد ورقة إضافية حتى أكتب إليه - قلت - وأريد قلماً

أيضاً!

غابت هاجر من أمامي وحين عادت كانت تحمل في يدها مزيداً  
من الأوراق البيضاء، وتحمل في اليد الأخرى قلماً.

أسكت القلم، قربته من الأوراق، فكرت طويلاً في الكلام الذي  
سأكتب لك، بيد أنني لم أتمكن من التوصل إلى شيء مناسب:

- لا أستطيع أن أكتب.

- لماذا - سألتني هاجر -

- لأنك تحددين بي - قلت بصوت أقرب إلى البكاء - وهكذا لا

أستطيع التركيز على فكرة!

نهضت هاجر وأخبرتني أنها ستذهب للبحث عنك، ريشما أنتهي

من الكتابة:

- سأبحث عنه وأعود إليك، نصف ساعة تكفيك للكتابة؟!

- لا أدرى نعم ربما تكفي.

و قبل أن تذهب هاجر للبحث عنك أخبرتها بأن لا تبني آمالاً كبيرة  
في العثور عليك، لأنني لست متأكدة من وجودك في المعرض، ثم  
سألتها:

- ماذا ستفعل لو أنك لم تجديه؟

- لا بأس سأبحث عن الدار التي قامت بنشر كتابه وأطلب من  
أحد الموظفين هناك أن يقوم بتسليمها حزمة الأوراق لا أعتقد  
أنهم سيرفضون - ثم سألتني - هل تعرفين اسم الدار التي  
قامت بنشر كتابه؟!

حركت رأسي: لا أعرف!

ولأن هاجر لم تكن من النوع الذي يستسلم بسهولة، فقد قامت  
بانزعاج كتابك من داخل حقيبتي وراحت تفتشه كما لو أنها كلب  
حراسة قاموا بتدريبه جيداً على الكشف عن الأشياء الممنوعة:

- لا بد أن يكون اسم الدار مكتوباً في مكان ما من الكتاب - ثم  
ابتسمت بثقة كبيرة - هه وجدت اسم الدار، «الأدب العربي»،  
سأفتاش عنها في محرك البحث!

## «ابتسم لأن الأرض في حاجة إلى ابتسامتك»

قربت القلم من الورقة وكتبت:

«أيها الكاتب، أعلم أن كل ما كتبته لك ليس جيداً للقراءة، وأعلم أنه لا يرتقي لمستوى النشر، ولكن إذا كنت لا تزال حقاً تعجبني، أطلب منك أن تنشر هذه الأوراق، شرط أن لا تضع اسمي عليها.»

دع العالم يدرك، أن المرأة حين تحب بظهارة، لا يعني أنها سيئة، وأنها حين تحاول التمسك بمن تحب، لا يعني أنها سيئة، وحين تعارض من أجل الزواج بمن تحب، لا يعني أنها سيئة، فخدعجة عليها السلام، أحببت رسول الله، وهي من طلبت منه الزواج قبل أن يكون رسولاً، وهذا لم يجعل منها امرأة سيئة!

أتعلم عندما كنا معاً كنت أحبك كثيراً، ولفرط ذلك الحب، كنت  
أخشى أن أقترف ذنباً فيعاقبني الله بحرمانني منك، واليوم لازلت  
أحبك أيضاً لكن الفرق هو أنني أصبحت أخشى أن أقترف ذنباً  
فيعاقبني الله برؤيتك، ليس لشيء عدا أنني لن أعرف حين أراك كيف  
سأتصرف، هل أبتعد عنك، أم ألبّي نداء قلبي وآتيك ركضاً.

كن كاتباً وأعدك أنني سأقرأ لك، وسأنتظر كتبك القادمة بفارغ  
الصبر، لا تدع أحداً يغضبك وابتسم لأن كوكب الأرض في حاجة  
إلى ابتسامتك، ولأن الحياة لا يسعها أن تكون بخير من غير أن  
تبتسم، أتمنى لك مزيداً من الكلمات الرائعة والاستعارات المدهشة،  
والروايات التي يستمتع بقراءتها العالم، وسأطلب من الله دوماً أن  
يمنحك مزيداً من القراء الذين يحبونك، ويعتنون بك في غيابي !

\*\*\*\*

لم تنتهِ الحكاية، سنتلقي يوماً، إن لم يكن في الأرض فهناك في السماء، وحينها سأخبرك بأنني ما نسيتك لحظة، وبأنني لم أتوقف عن حبك يوماً، وبأنك كنت دائمًا وأبدًا:

«كل أشيائي الجميلة».

## «أخيراً انتهيت»

الخميس،

٧:٠٩ مساءً،

«الطفلة الصغيرة»

بعد ساعة وخمس دقائق بالضبط عادت هاجر:

- لقد وجدته، إنه مستغرق في التوقيع على روايته، هل انتهيت

من الكتابة إليه؟!

حركت رأسي: أخيراً انتهيت!

جلست هاجر أمامي، وقامت بقراءة الورقة التي قمت بكتابتها

قبل قليل:

- هذا جيد، لو أنه يحبك فعلاً فسيقوم بنشرها، هي بالنذهب ونعطيه

الأوراق.

## «أخيراً انتهيت»

الخميس،

٧:٠٩ مساءً،

«الطفلة الصغيرة»

بعد ساعة وخمس دقائق بالضبط عادت هاجر:

- لقد وجدته، إنه مستغرق في التوقيع على روايته، هل انتهيت

من الكتابة إليه؟!

حركت رأسي: أخيراً انتهيت!

جلست هاجر أمامي، وقامت بقراءة الورقة التي قمت بكتابتها

قبل قليل:

- هذا جيد، لو أنه يحبك فعلاً فسيقوم بنشرها، هي بالنذهب ونعطيه

الأوراق.

حين نفارق شخصاً أحبناه، فإننا لا نستطيع الوقوف أمامه، إلا إذا  
شفينا تماماً منه، ولأنني لم أشف منك بعد، فإنني لن أستطيع الوقوف  
 أمامك، وبالتالي لن أستطيع تسليمك الأوراق بمنفسي:

- لن يكون من السهل أن نلتقي، دعينا نفكر بطريقة أخرى.

- إذا سأذهب وحدي - قالت - ساعطيه الأوراق وأعود سريعاً!

- لا؛ أخشى أن تخطئي وأنتِ أمامه، فيكتشف الأمر.

ثم فجأة، وبدون سبب، سألت هاجر: متى ستأتي عائلتك؟!

نظرت إلى ساعة يدي: من المفترض أنهم وصلوا منذ عشر دقائق

- ثم سألتها - بماذا تفكرين؟!

فابتسمت بمكر ..

\*\*\*

سقراط طفلة صغيرة بتسليمه الأوراق، لن تتكلم معك كثيراً، لن  
نصح لك عن هويتها، بيد أنك لو نظرت إلى عينيها قليلاً فستعرف  
من تكون.

\*\*\*\*\*

و قبل أن تذهب الطفلة الصغيرة إليك اقتربت منها، متظاهرة بأنني  
أريد أن أصلح لها قميصها، بينما في الحقيقة كنت أضعف في جيب  
بنطالها ورقة نقدية من فئة العشرة ريالات، ثم همست لها في أذنها  
من غير أن تنتبه علينا هاجر: أريدك أن تعطيه هذه الورقة النقدية،  
أرجوك لا تنسى.

حركت رأسها كما لو أنها فهمت أنني أبوح لها بسر خطير:  
- لن أنسى.

ثم راجعت معها الخطة بصوت مرتفع:

- لا تخبريه عن اسمك، لا تتحدى معه كثيراً، وحين تعودي إلينا  
تحققي من أنه لا يسير خلفك - ثم سألتها من باب الاختبار -  
ماذا ستقولين له عندما يسألك عن الشخص الذي أعطاك هذه  
الأوراق؟!

تدخلت هاجر متضجرة: ستقول بأن الذي أعطاها الأوراق فتاة،  
وحين يسألها أين هي ستقول له بأنها ذهبت، ولن تخبره عن مكاننا،  
أو أي شيء قد يشير إلى هويتك، بربك يكفي لقد أعدت عليها الخطة  
ألف مرة، ثقي بها ودعها تذهب، لن تفسد الأمر.

وهكذا أخذت الطفلة الصغيرة مني حزمة الأوراق، وتقدمت  
نحوك، بينما اختبأت أنا وهاجر نراقب ما سيحدث من بعيد.

\*\*\*\*\*

في تلك الورقة النقدية كتبت لك شيئاً، لم أكن أريد لهاجر أن  
تراه في ذلك الوقت، لأنها لو عرفت بالأمر كانت ستمنعني من  
إخبارك به، فهي لا تريده أن تعرف، حتى لا تحزن كثيراً على حد  
قولها، لكن بالنسبة لي أعتقد بأنه قد حان الوقت، لتفهم كل شيء.

\*\*\*\*\*

## الباب الثالث

### «الكاتب»

كانت امرأة من السماء  
و كنت رجلاً تسكتني براكيين الأرض

قالت: كيف يأتيك الشعر، وكيف تنظم القصيدة؟!

قال: لا أعلم، ولكن أنظر إلى عينيك وأنكلم

قالت لتداري خجلها:

- هل أستطيع أن أكتب الشعر أنا أيضاً؟!

قال: لا، فالقصيدة لا تكتب القصيدة.

## «الحقيقة»

الجمعة،

الساعة: الثالثة

بعد منتصف الألم،

الفندق،

- الورقة النقدية!

هذا ما قلته حين انتهيت من قراءة حزمة الأوراق.

أمسكت هاتفي، أعدت تشغيله وأجريت مكالمة سريعة إلى مدير الدار، بيد أن هاتفه كان مغلقاً، نظرت إلى الوقت، «كانت الساعة تشير إلى الثالثة فجراً» لا بد أنه نائم تبأ!

الآن فهمت لماذا كانت الطفلة ت يريد مناولتي تلك الورقة النقدية،  
ولماذا أعطتها لاحقاً إلى مدير الدار وطلبت منه أن يعطيها لي، يجب  
أن أحصل على الورقة النقدية مهما كلف الأمر!

\*\*\*\*\*

وصلت إلى معرض الكتاب بعد أن فتحت أبوابه بساعة تقريباً،  
وحين اقتربت من موقع الدار، وجدت المدير يقف مع إحدى  
الكاتبات، يتحدث معها بلطف ويظهر اهتماماً واضحاً على كل كلمة  
تقولها له.

أغلب الرجال يتتحولون إلى قطط أليفة، كلما تحدثوا إلى فتاة  
حسناً، لكن مدير الدار كان مختلفاً بعض الشيء، إنه يتتحول إلى قط  
أليف فقط حين يقع على ضحية جديدة، وبعد أن يقنعها بتوقيع عقد  
مع الدار، يعود إلى حقيقته الصادمة!

لم أنتظره حتى ينتهي من الحديث معها، بل أقحمت نفسي  
بينهما، ورحت أحادثه أمامها، حتى لا يكون في مقدوره أن يعتني  
على انسحابي البارحة من المعرض، فمن المؤكد أنه لا يريد أن يبدو  
عصبياً ووحشاً أمام تلك الكاتبة.

اقربت من المدير وهمست له:

- أين العشرة ريال التي أعطتها لك الطفلة البارحة؟!

أخرج الحروف من تحت أسنانه، وهو يحادثني بصوت منخفض،  
وفي الوقت نفسه يحاول بصعوبة المحافظة على ابتسامته:

- هل هذا أمر يستحق أن تقاطع حديثنا من أجله، ثم أين اختفيت  
البارحة أنت هاه، ولماذا لم تجب على اتصالاتي؟!

كنت قد جهزت العذر مسبقاً، لأنني أعرف بأن مدير الدار مثل  
الجمل لا يغفر ولا ينسى:

- البارحة تلقيت اتصالاً من أخي أخبرني فيه بأنهم نقلوا أحد  
أقربائي إلى المستشفى، بعد أن تعرض لحادث سير، كان  
حضوري ضروريًّا، لأنهم كانوا في حاجة إلى أشخاص  
يتبرعون له بالدم، لذلك ذهبت ونسيت أن أخبرك.

الأقرباء دائمًا يكونون عذراً جيداً في الكذب: تباً لو أن ما يقوله  
الإنسان يصبح واقعاً، لكنت الآن أعيش وحيداً بدون أقرباء، لأنني  
كنت قد أدخلت نصفهم إلى المستشفى، والنصف الآخر قد قتلتهم،  
في سبيل إيجاد أعداء مقنعة.

- أعد لي العشرة ريالات - قلت له في أذنه - وسأعطيك مئة  
ريال في المقابل.

لم يتمكن مدير الدار من مقاومة العرض، لذلك استدار ورفع  
قميصه قليلاً، ليخرج لي العشرة ريال من حقيبة سوداء صغيرة كانت  
مربوطة حول خصره، وقبل أن يمدھا لي، طالبني بالمئة ريال، كما لو  
أنه يخاف من عدم التزامي بما قلته له.

\*\*\*\*\*

عندما أصبحت تلك العشرة ريالات في يدي، جعلت أتحقق منها  
من غير فائدة، إذ لم يكن مكتوبًا عليها شيء، لذلك عدت إليه  
وهمست في أذنه مقاطعاً حديثه مرة أخرى:

- هل هذه الورقة النقدية، هي ذاتها تلك التي أعطتك إياها الطفلة  
البارحة؟!

- لا!

- لماذا، أقصد أين وضعتها؟

لَا أذكُر؛ أعتقد أني اشتريت بها بعض الطعام، أو أني ناولتها  
لسانق الأجرة الذي أوصلني البارحة للفندق!

\*\*\*

حين يقع هذا الكتاب، بين يديك وتقرئنه، أريدك أن تعرفي بأنني  
لم أتمكن من معرفة ما كان مكتوبًا داخل الورقة النقدية، وأريدك أن  
تعرفي أيضًا بأنني أتمنى في هذه اللحظة لو أني كنت الكتاب الذي  
يin يديك.

\*\*\*

## «أنت كل أشيائي الجميلة»

عدت إلى الرياض، حيث المدينة التي انتقلت إليها مؤخراً، وما إن وصلت حتى سارعت في معالجة النصوص، لتصبح أكثر قابلية للنشر، وحين انتهيت منها قمت بتقديمها إلى مدير الدار، الذي أبدى اعتراضًا كبيراً على نشرها!

لا تقلقي ..

هو لم يعترض لأنها رديئة، أو لأنها لم تعجبه، بل على العكس تماماً، لقد أعجب بها، وطلب مني لاحقاً، أن أقنعك بأن توقيعي معه عقداً بالاحتياط يمتد إلى عشر سنوات.

لقد اعترض لأنه كان يتضرر مني أن أقدم له في هذه الأيام رواية أخرى، سيكون اسمها:

«أبابيل».

\*\*\*\*

وهذا ما حدث بيني وبين مدير الدار في المكتب:

- ما هذه الأوراق؟

- كتابي القادم - قلت له ذلك، وأنا أمد له حزمة الأوراق -

وحين قرأ الخمس الصفحات الأولى، حرك رأسه يميناً ويساراً،  
مثل طفل يرفضأخذ حقنة في مؤخرته:

- لا لا لا، لم نتفق على هذا، لن يكون هناك شيء آخر غير  
«أبابيل» في العام القادم.

ولأن الحب هو أعظم القضايا التي قد يحارب من أجلها الرجل،  
ولأنني أيضاً تخيلت خيبة الأمل التي ستشعرين بها، حين تعرفي بأنني  
نشرت عملاً آخر، بدلاً من أن أقوم بنشر أوراقك، ضربت طاولة  
المكتب براحة يدي:

- سأنشر هذه الأوراق أولاً.

ثم قلت له: ينص العقد على أنك ستقوم باحتكار جميع أعمالي  
لمدة عشر سنوات قادمة، لكنك نسيت أن تضع في العقد، فقرة  
تلزمني فيها على أن أقوم بإصدار رواية بعد كل فترة زمنية معينة.

- ماذا تقصد؟

- أقصد أنك إن لم تنشر هذه الأوراق في العام القادم، فلن أقوم بكتابه أي عمل آخر حتى تنتهي مدة العقد، وعندما أكون حراً، سأقوم بطباعة هذه الأوراق عند أي دار نشر أخرى.

سألني بغضب:

- هل تريد أن تقطع عن الكتابة لمدة عشر سنوات؟! - ثم أضاف - هذا انتحار!

- أنت لا تترك لي خياراً آخر، إن لم توافق، فسأتوقف عن الكتابة حتى ينتهي العقد!

أظن أنني أمسكته من اليد التي تؤلمه، فقد بدا ذلك واضحاً من خلال صوته الذي انخفضت حدته فجأة:

- لكتنا اتفقنا على أن تكون رواية «أبابيل» في معرض الكتاب القادم، وليس شيئاً غيرها.

- أعلم ذلك، وأؤكد لك أنها ستكون على بريدك الخاص قريباً، لقد انتهيت من كتابتها وهي جاهزة تماماً، لكنني أطلب منك أن تقوم بنشر هذه الأوراق أولاً.

ثم ولكي أقنعه أكثر، أخبرته بأنني سأقوم بطبعتها من مالي  
الخاص، وبأنني لن أطلب من الدار أن تدفع شيئاً:

- لم أطلب منك في حياتي أبداً، اعتبر هذا الطلب الأول والأخير،  
وسأقوم بطبعتها على نفقتى الخاصة.

صمت قليلاً ثم قال:

- دعني أقم بقراءتها أولاً.

- لا بأس شرط أن لا تطالبني بحذف أي شيء منها، خصوصاً  
تلك الفصول التي قامت الفتاة بكتابتها.

وقبل أن أغادر المكتب أوقفني مدير الدار:

- هل هذه الأوراق، هي تلك التي جاءت بها الطفلة الصغيرة في  
معرض الكتاب؟!

لم أتكلم، ثم قال: هل تلك الفتاة التي كانت برفقتها، هي حقاً  
الفتاة التي ينتهي اسمها بتاء مربوطة؟!

حينها فتحت الباب، وقبل أن أدفع بجسدي إلى الخارج قلت له:  
هذا ليس من شأنك!

\*\*\*\*

في اليوم التالي استدعاني مدير الدار إلى مكتبه، وحين التقينا صمت قليلاً ثم قال مبتسمًا:

- هل اخترت للجزء الثاني اسمًا، أم أنك ستحتفظ بالاسم الأول.

عرفت أنه وافق على نشرها، قلت له سعيدًا بذلك الخبر:

- بل سنطلق عليها اسمًا آخر.

لم أكن قد اخترت اسمًا للجزء الثاني، لأنني لم أتوقع أن يوافق المدير بهذه السرعة، فكرت طويلاً كانت الأسماء تزدحم في رأسي، ولم أكن أعرف أي الأسماء اختار، كنت سأقول له بأنني أريد أن أطلق عليها اسم: «الفتاة التي ينتهي اسمها بتاء مربوطة» لكنني حين فتح فمي، وجدت نفسي أقول: «أنت كل أشيائي الجميلة».

هناك أشياء لن تأتي مهما طال إنتظارنا لها، وأشياء قد تأتي ولكنها  
ستكون قد تأخرت كثيراً، وأشياء حين تأتي لن نعيرها انتباها،  
لأن أشياء أخرى ستكون قد نابت في قلوبنا عنها،  
لا شيء يبقى ثابتاً إلا أنت ..

فأنت في قلبي دائمًا  
كل أشيائي الجميلة

إليك وإلى كل أولئك الذين سيخلدون إلى النوم بعد قليل  
أو أنهم ناموا منذ وقت مضى، ولم يقل لهم أحد كلمة حب  
«أنا أحبك كثيراً»